درس الجمعة بالأزهر

للعارف بالله تعالى الشيخ صالح الجعفرى

الجزء الأول

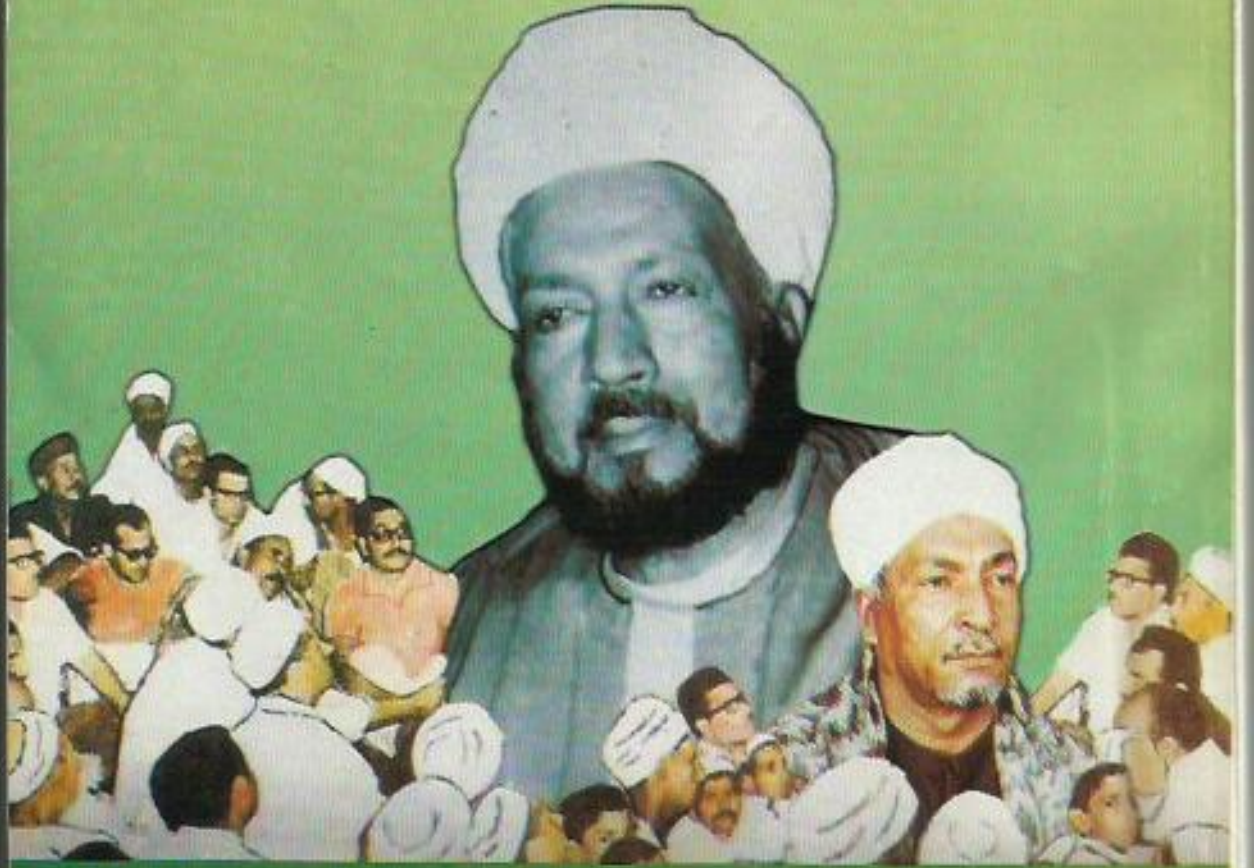

الناشر: دار جوامع الكلم -الدراسة-القاهرة-تليفون ٥٨٩٨٠٢٩

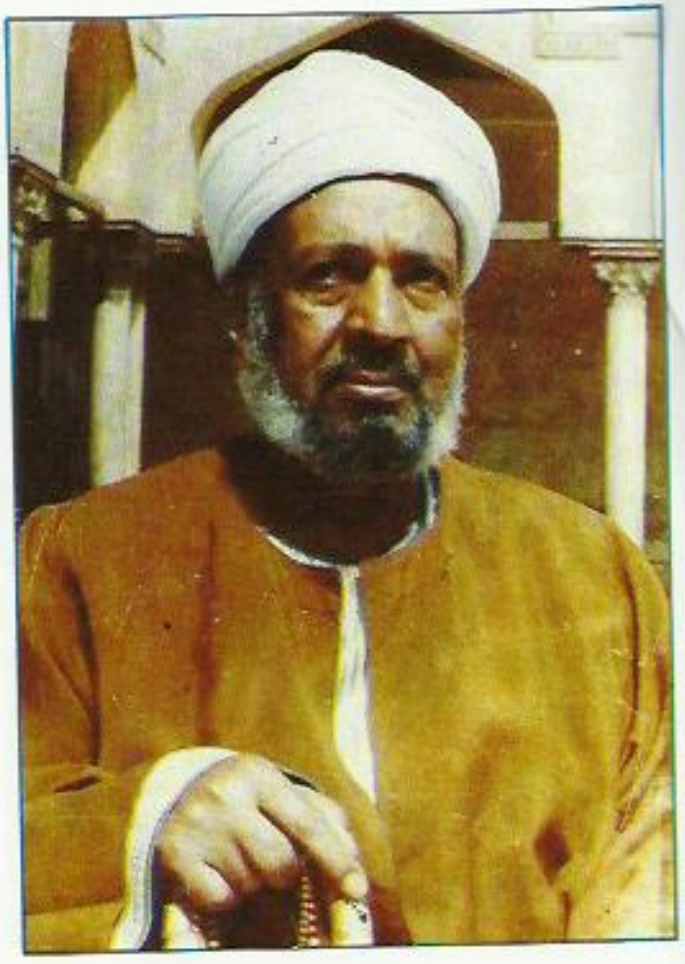

صورة العارف بالله تعالى الإمام الأزهرى
شيخ المادحين وقدوة الواصلين سيدى
الشيخ صالح الجعفرى رضى الله تعالى عنه

صورة سيدى الشيخ عبد الغنى صالح
الجعفرى شيخ عموم الطريقة الجعفرية
الأحمدية المحمدية بمصر والسودان

درس الجمعة

للعارف بالله تعالى

سيدى الشيخ صالح الجعفرى

إمام ومدرس بالجامع الأزهر الشريف
ومؤسس الطريقة الجعفرية
وصاحب درس الجمعة الشهير بالأزهر الشريف

الجـــزء الأول

الطبعة الثانية

الناشر
دار جوامع الـكلـــم
١٧ شارع الشيخ صالح الجعفرى
الدراسة القاهرة ـ ت : ٥٨٩٨٠٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل العلماء ورثة الأنبياء، ورفعهم عنده إلى أعلى الدرجات ، وحفظ بهم علوم الإسلام من البدع والضلالات، وبعث بعد كل مائة عام لهذه الأمة عالما يوضح لها ما خفى عليها من المسائل العويصات، وكرم العلم والعلماء، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ (١).

والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، الذى بعثه الله معلما، ومبينا للناس ما نزل إليهم، فهو القائل ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إنما بعثت معلما»(٢). وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، الذين تعلموا العلم، وعملوا به، فنالوا رضا الله تعالى فى الدنيا والآخرة أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولوا الألباب.

أما بعد..

فلقد شهد الأزهر الشريف على مر عصوره أعلاما من أبنائه، يجوبون مشارق الأرض ومغاربها، رافعين راية الإسلام، داعين إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، حاملين أعلام الدعوة الإسلامية، كتابا وخطباء ومحاضرين ومدرسين فىَ أقسام الوعظ، ولقد سطر التاريخ سيرة هؤلاء الأعلام بمداد من نور، ومن هؤلاء الأعلام الأفاضل: شيخنا وأستاذنا العارف بالله تعالى سيدى ـ صالح الجعفرى ـ مؤسس الطريقة الجعفرية الأحمدية المحمدية وصاحب درس الجمعة الشهير بالأزهر الشريف.

وشيخنا عليه رضوان الله تعالى يتصل نسبه الشريف بالإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن سيدنا الإمام الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

وقد ولد شيخنا عليه رضوان الله تعالى ببلدة «دنقلا» من السودان الشقيق فى الخامس

---

(١) المجادلة: ١١.

(٢) رواه ابن ماجه.

عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٢٨هـ وبها حفظ القرآن الكريم وأتقنه فى مسجدها العتيق، ثم وفد إلى مصر، ليتلقى العلوم بالأزهر الشريف، واتصل بأهله المقيمين بقرية «السلمية» بمركز الأقصر من محافظة «قنا»، ويحدثنا الشيخ رضى الله تعالى عنه عن أهله وأجداده الجعافرة فى السلمية، فيقول عن أسرته:

«من بلدة الأقصر بصعيد مصر، من القبيلة التى هى من الجعافرة، وتسمى «العلوية» وهم مفرقون بين الأقصر والحلة والحليلة والدير، وقد قل عددهم والبقاء لله، وفى السلمية يوجد قبر جد والدى محمد رفاعى بمقبرة جد الجعافرة السيد الأمير «حمد»، حيث أنه كان يقيم هناك، وللجعافرة نسب كثيرة محفوظة قديمة ومن أشهرهم فى إظهار تلك النسب أخيرا: الشريف السيد إسماعيل النقشبندى وتلميذه الشيخ موسى المرعيابى، ولا تزال ذرياتهم تحتفظ بتلك النسب كثيرة الفروع المباركة».

وقد أخذ شيخنا عليه رضوان الله ـ طريق سيدى أحمد بن إدريس ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن سيدى محمد الشريف ـ رضى الله تعالى عنه ـ ويحدثنا شيخنا الإمام صالح الجعفرى عن ذلك فيقول:

«وقد أجازنى بهذا الطريق شيخى وأستاذى مربى المريدين الشريف السيد محمد عبد العالى، عن والده سيدى عبد العالى، عن شيخه العلامة: السيد محمد بن على السنوسى عن شيخه العارف بالله تعالى السيد أحمد بن إدريس رضى الله تعالى عنه»(١).

ثم كان حضوره إلى مصر للالتحاق بالأزهر بإشارة من شيخه، سيدى عبد العالى ـ رضى الله تعالى عنه ـ وعن ذلك يحدثنا شيخنا رضى الله تعالى عنه فيقول:

«قبل مجيئى إلى الأزهر جاء أحد أهل البلد، بأول جزء من شرح النووى على صحيح مسلم، فاستعرته منه وصرت أذاكر فيه، فرأيت سيدى عبد العالى الإدريسى ـ رضى الله تعالى عنه ـ جالسا على كرسى، وبجواره زاد للسفر، وسمعت من يقول: إن السيد يريد السفر إلى

(١) المنتقى النفيس ص ٢، ٣.

مصر، إلى الأزهر، فجئت وسلمت عليه، وقبلت يده، فقال لي مع حدة: «العلم يؤخذ من صدور الرجال لا من الكتب»، وكررها، فاستيقظت من منامي، وقد ألهمني ربي السفر إلى الأزهر، وحضرت الشيخ محمد إبراهيم السمالوطي المحدث، وهو يدرس شرح النووي على صحيح مسلم، فجلست عنده، وسمعته يقرأ حديث: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإن استنفرتم فانفروا»[1] رواه مسلم.

وقد تلقى الشيخ ـ رضي الله تعالى عنه ـ العلم بالأزهر الشريف، على يد نخبة من كبار العلماء العاملين، الذين جمعوا بين الشريعة والحقيقة، ومنهم الشيخ محمد إبراهيم السمالوطي، والشيخ محمد بخيت المطيعي، والشيخ حبيب الله الشنقيطي، العالم المحدث المشهور صاحب «زاد المسلم» وغيره من المصنفات المفيدة، الذي كان للشيخ معه لقاءات وكرامات، يحدثنا عنها شيخنا ـ رضي الله تعالى عنه ـ فيقول:

«ذهبت إلى بيت الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، بجوار القلعة، ناويا بقلبي أن أستأذنه في أن أكون مقرئا له متن حديث البخاري ومسلم، فلما وصلت البيت وجلست بغرفة الاستقبال، وهي أول مرة أزوره بها، جاءني مبتسما، فلما سلمت عليه وقبلت يده، قال لي: أنت الذي ـ إن شاء الله ـ ستكون سرادا لي في هذا العام، ومعنى «سرادا»: مقرئا، والحمد لله قد لازمته خمس عشرة سنة، إلى الممات، ونزلت قبره، ولحدته بيدي، والحمد لله، وكنت أقرأ للإخوان الحاضرين درسا قبل حضوره بالمسجد الحسيني، فإذا عارضني إنسان أو شاغبني يهمس لي في أذني عند جلوسه على الكرسي بقوله: يعاكسونك وأنت خير منهم، كأنه كان معي، ثم يأتي في دروسه بكل موضوع قصرت فيه، وقد حصل ذلك منه مرات كثيرة.

وكان إذا حصل له عذر يرسل تلميذا أن اقرأ الدرس نيابة عن الشيخ، وفي يوم أرسل لي ورقة مكتوبة بخط يده، فيها: «قد وكلتك بقراءة الدرس» فتعجبت من ذلك، لماذا غير الشيخ عادته من المشافهة إلى المكاتبة؟ وما أشعر إلا ومدير المساجد قد حضر وأنا أقرأ الدرس،

(١) فتح وفيض: ص١١، ١٢.

فسألني: وهل وكّلك الشيخ؟ قلت: نعم، قال: وأين التوكيل؟ فقدمت له الورقة المرسلة من الشيخ، ففرح بها، ودعا لي بخير، وكانت هذه كرامة منه ـ رحمه الله تعالى، وغفر له، وأسكنه فسيح الجنان ـ فإنه كان يحبني كثيرا ويقول لي: أنت بركة هذا الدرس، قد أجزتك بجميع إجازاتي ومؤلفاتي.

وكان يقول لي: عليك بشرحي على زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، فإني ما تركت فيه شاذة ولا فاذة»(١).

ومن شيوخه الشيخ يوسف الدجوى رحمه الله، الذي يقول عنه شيخنا رضي الله تعالى عنه:

«وكان أيضا من العلماء العارفين، وقد لازمت درسه بعد صلاة الصبح بالجامع الأزهر الشريف، بالرواق العباسي سبع سنين، وكان السيد الحسن الإدريسي إذا جاء من السودان يلقاني في درسه وبعد الدرس يسلم على الشيخ، فيفرح فرحا عظيما، ويقول: السيد أحمد ابن إدريس قطب، لا كالأقطاب.

وكان الشيخ الدجوى قد أخذ الطريقة الإدريسية عن شيخي السيد محمد الشريف ـ رضي الله تعالى عنه ـ والشيخ الدجوى من هيئة كبار علماء الأزهر، وله مؤلفات نافعة، ومقالات قيمة في مجلة الأزهر الشريف، وقد حضرت عليه التفسير من سورة محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى آخر سورة الناس، ثم ابتدأ شرح البخاري بعده، وكان يحفظ القرآن الكريم بالتجويد والقراءات، ويذكر أقوال المفسرين، ويعرب الآية إعرابا دقيقا، ويبين الألفاظ اللغوية فيها، ويتعرض للأحكام الفقهية على المذاهب، وكان يقرأ الحديث بالسند، ويترجم لرجاله ترجمة طريفة، ويذكر أقوالا كثيرة قيمة في أدلة التوسل بالنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذكر أكثرها في مجلة الأزهر، المسماة (وقتها) نور الإسلام»(٢).

---

(١) الذخيرة المعجلة: ص ٢٨.

(٢) الذخيرة المعجلة: ٢٩.

وقد كان شيخنا ـ رضى الله عنه ـ يحضر دروس هؤلاء العلماء، حضور الواعى المتفهم، المحب للعلم وأهله، فكان كثيرا ما يناقش شيوخه ويحاورهم فى أدب جم، وكانوا يعجبون به وبفطنته وقوة حافظته وحجته، فيثنون عليه خيرا ويدعون له بالتوفيق والبركة.

ويذكر لنا شيخنا رضى الله عنه صورة من ذلك مع شيخه الدجوى السالف الذكر، فيقول:

«كان رحمه الله مرة يقرأ حديث سؤال القبر فى صحيح البخارى، وكنت قد ذاكرت شرح الكرمانى على البخارى ورأيت فيه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يظهر للمسئول عند قول الملك له: ما تقول فى هذا الرجل؟ وبعد انتهاء الدرس قبلت يده وقلت له: يقول الشيخ الكرمانى: إنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يظهر للمسئول، فوكزنى فى صدرى وقال لى: أنا ذاكرت شرح الكرمانى واطلعت فيه على هذه المسألة، لِمَ لَمْ تذكرنى بها فى الدرس حتى يسمعها منى الناس».

ومرة كان يتكلم على رؤية النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مناما فقال: وإن الشيطان لا يتمثل به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا جاء فى صورته الأصلية، والمعتمد أيضا أنه لا يتمثل به إذا جاء فى غير صورته الأصلية، فقلت له: روى شيخنا السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله عنه ـ فى كتابه المسمى «روح السنة» أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «من رآنى فقد رآنى فإنى أظهر فى كل صورة»، ففرح فرحا عظيما، وقال لى: هذا الحديث هو الدليل على أن الشيطان لا يتمثل به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولو جاء فى غير صورته الأصلية، أنت مبارك يا شيخ صالح، نفع الله بك المسلمين»(١).

ومن شيوخه الشيخ على الشايب ـ رحمه الله ـ الذى حضر عليه الشيخ شرح منظومة الشيخ اللقانى المسماة «جوهرة التوحيد»، يقول عنه شيخنا:

«وكان يدرسها فى أول عام حضرت فيه إلى الأزهر الشريف، وكان يدرسها غيبا، متنا وشرحا، وكان من العلماء الصالحين، وكان إذا دخل قبة سيدنا الحسين ـ رضى الله تعالى عنه

(١) الذخيرة المعجلة: ٢٩.

ـ يحصل له حال خشوع عجيب، كأنه يشاهده وينزل عليه عرق كثير، وكنت أدرس عليه شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وفي ليلة من الليالي رأيت النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في النوم وكان يحدثني في مسألة علمية أخطأت فيها، فغضب النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقال لي: يا ولد، وذلك من ضمن كلام يطول، فلما أصبحت وحضرت في الدرس، قلت في نفسي وأنا جالس: يقول النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : يا ولد، فهل أنا صغير؟ فالتفت إليَّ الشيخ ـ وهو يدرس ـ وقال: إنما قلنا لك يا ولد كعادة العرب، لا لأنك صغير.. وأمثال هذا الشيخ عند الصوفية يسمون أرباب القلوب، ولعلهم أن يكونوا المحدثين الذين منهم سيدنا عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ كما في حديث البخاري»[1].

ومنهم الشيخ حسن مدكور، والشيخ عبد الرحمن عليش، والشيخ محمد أبو القاسم الحجازي، والشيخ عبد الحي الكتاني، والشيخ أبو الخير الميداني، شيخ علماء سوريا، والشيخ أحمد الشريف الغماري، وأخوه الشيخ عبد الله الغماري، والشيخ على أدهم المالكي السوداني، والشيخ حسن المشاط من علماء مكة المكرمة، والشيخ مصطفى صفوت، والشيخ عبد الحليم إبراهيم، والشيخ أبو يوسف، والشيخ محمد الحلبي، والسيد عبد الخالق الشبراوي، والشيخ محمد عطية البقلي، والشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي، والشيخ محمد العناني شيخ السادة المالكية، والشيخ الدليشني، والشيخ سلامة العزامي، والشيخ صادق العدوي، والشيخ أحمد وديدي من بلدة «رومي» بالسودان، والشيخ على محمد إمام وخطيب مسجد دنقلا، والشيخ سيد حسن أفندي، والشيخ على بن عوف، والشيخ أحمد النجار، المدرسان بمسجد دنقلا ـ رحمهم الله تعالى ـ وغيرهم من مشايخ الأزهر الشريف.

هذه الكوكبة من العلماء العاملين العارفين كان لها عظيم الأثر في سعة علم الشيخ ـ رضي الله تعالى عنه ـ مع ما وهبه الله من ذكاء وقوة حافظة، فأكب الشيخ على دروسه وجاهد وثابر حتى نال الشهادتين العالية والعالمية من الأزهر الشريف، ثم أصبح صاحب حلقة

(١) فتح وفيض: ٢١ ـ ٢٢.

ومدرسا بالأزهر الشريف.

أما قصة تعيين الشيخ ـ رضى الله تعالى عنه ـ مدرسا بالجامع الأزهر الشريف فهى جديرة بأن تروى لما فيها من دليل ساطع على موهبة الشيخ العلمية، ومحبته للعلم وشيوخه، يحدثنا عنها الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى فيقول: «ومن مواقف الشيخ التى بلغ التأثير فيها روعته، موقفه فى رثاء أستاذه الكبير الشيخ يوسف الدجوى ـ رضى الله تعالى عنه ـ فقد كنا طلابا فى كلية اللغة العربية، ونادى الناعى معلناً بوفاة الشيخ الكبير ومحددا ميعاد الجنازة، فسارعت إلى توديعه، وكان المشهد مؤثرا، تتقدمه جماعة كبار العلماء، برئاسة أستاذهم الأكبر، الشيخ مصطفى عبد الرازق (شيخ الأزهر فى ذلك الوقت) وحين بلغ الموكب فيها نهايته عند القبر، انتفض الشيخ صالح الجعفرى خطيبا، يرثى أستاذه، فبدأ مرثيته، مستشهدا بقول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «إن الله ـ تعالى ـ لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤساء جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[1]، ثم أفاض فى ايضاح منزلة العالم الفقيد، وأشاد ببعض مواقفه الجريئة أمام المبتدعة والملاحدة، وكان جلال الموقف ورهبة المناسبة، واحتشاد الجموع، مما جعل نفس الراثى ممتدا يتسع ويتدفق ويجيش، وكان لصوته الحزين هزة تحرك النفوس، وتعصف بالألباب، وما أن انتهى الخطيب من مرثيته حتى سأل عنه الأستاذ الأكبر معجبا، ثم بادر بتعيينه مدرسا بالجامع الأزهر»[2].

ومنذ ذلك الوقت بدأ الشيخ ـ رضى الله تعالى عنه ـ يلقى دروسه بالجامع الأزهر الشريف، وقد أشربت نفسه حب العلم، اقتداء برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول شيخنا رضى الله تعالى عنه:

«وكان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يرشد الناس بالدروس العلمية وبالقرآن العظيم، وقد

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) مجلة الأزهر العدد: شوال سنة ١٣٩٩ هـ ـ سبتمبر سنة ١٩٧٩م من مقال للدكتور محمد رجب البيومى.

تبعه شيخنا السيد أحمد بن إدريس - رضى الله تعالى عنه - فى ذلك، فكان يرشد الناس بالقرآن الكريم والعلم، واستمر على ذلك حتى لقى ربه، وقد سألت الله - تعالى - أن يوفقنى إلى ما كان عليه شيخنا العالم السيد أحمد بن إدريس صاحب العلم النفيس - رضى الله تعالى عنه.

فعلى جميع إخوانى أن يساعدونى فى حضور الدروس العلمية وأن يحفظوا شيئا من القرآن الكريم، فما عندنا إلا الدروس وحفظ القرآن، فأعينونى بعلو همتكم، فما جمعتكم إلا على هذا الدرس، الذى فيه تفسير القرآن وشرح الأحاديث النبوية والفقه فى الدين وحفظ القرآن وتلاوته، فالعبادة لله وحده، والعلماء هم الوارثون المرشدون»(١).

«والشريعة مدارها العلم والنبوة، والرسالة هى العلم، وإنما تشرف النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - بالعلم والنبوة والرسالة، وقد قال - عليه الصلاة والسلام:

«إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»(٢).

فيجب على كل عالم أن يدرس ما استطاع، وأن يعلم الناس الشريعة الغراء، ولو كان النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - الآن لعلم الناس العلم، لأنها هى وظيفته، وقد دخل النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - المسجد، فوجد حلقتين: وجد قوما يقرأون العلم ويتدارسونه فيما بينهم، ووجد قوما يذكرون الله تبارك وتعالى، فأثنى على المجلسين خيرا، ثم جلس مع الذين يتدراسون العلم، ثم قال: «إنما بعثت معلما»(٣).

وقد خاطبه ربه بقوله ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾(٤).

ومن تعلم يوشك أن يعمل، وأما الجاهل فبعيد عليه العمل، فعليكم أيها الناس بسماع

(١) أعطار أزهار أنوار حظيرة التقديس ١٤٣، ١٤٤.
(٢) رواه الإمام أحمد وابن النجار عن أنس.
(٣) رواه ابن ماجه.
(٤) النحل: ٤٤.

العلم، ومذاكرة العلم لأنه هو النور الذى يسترشد الإنسان به، قال سيدنا على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه: «الناس موتى وأهل العلم أحياء»[1].

أما عن حلقة درس شيخنا الإمام صالحالجعفرى ــ رضى الله تعالى عنه ـ فإن خير من يحدثنا عنها هو نجله وخليفته سيدى الشيخ عبد الغنى صالح الجعفرى، فيقول: « وكانت حلقة درسه الشهيرة بعد صلاة الجمعة بالأزهر الشريف جامعة إسلامية صوفية، تعممت فيها أصول الدين والشريعة علما، وكانت فيها أصول روحانية التصوف تربية، فكانت مظهرا للحقيقة الصوفية، وكان منهجه: أدبنى ربى فأحسن تأديبى، بما ورثه من هدى نبوى عظيم، من الدوحة المحمدية الطاهرة نسبا، العظيمة أثرا، نفخ فيها الإيمان من روحه، فخلصت خلوص الزهد والورع والتقوى والصلاح، وسطعت سطوع الهدى وصفت صفاء الفطرة، التى تبلورت فيها محمدية الإسلام الموروثة، وصوفية الصفاء الموهوبة، فصار ــ رضى الله عنه ـ لسانا لهداية الخلق، ففى دنيانا فجر للناس من ينابيع الحكمة وكنوز العلم والمعرفة وأسرار القرآن الكريم، فجاء بالجديد والغريب من التفسير الذى لم يسبقه إليه سابق، ذلك لأنه ـ رضى الله تعالى عنه ـ لم يكن يملك عقلا مكتسبا، وإنما كان يملك عقلا موهوبا ملهما من الله ـ عز وجل ـ مقتديا برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فكان يعطى من كنوز عقله، ومواهب فكره، وفيوضات قلبه، وروحانيات روحه، ومن إنسانية نفسه، فكان يخاطب الخواطر والضمائر، ويجيب على تساؤلات العقول، وهواجس النفوس، فكانت حلقة درسه جامعة إسلامية، علمية المذهب، صوفية المشرب، تربط بين الشريعة والحقيقة والظاهر والباطن، والنفس والروح، والعقل والخاطر.

وعن نفس هذا المعنى يحدثنا أحد العلماء الصالحين، الذين أحبوا الشيخ ــ رضى الله عنه ـ وحضروا دروسه وهو الشيخ أحمد عبد الجواد الدومى ـ مدير الوعظ الأسبق بالقاهرة ـ رحمه الله تعالى وغفر له ـ فيقول فى كلمته التى ألقاها فى الاحتفال بمولد الشيخ ـ رضى الله تعالى عنه ـ سنة ١٤٠٣ هـ:

(١) منبر الأزهر: ١٧٤ .

«دخلت يوما مسجد الأزهر، وكنت فى صباح ذلك اليوم أقرأ فى سورة الكهف، فلما وصلت إلى قوله تعالى: ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ [1] أردت أن أعرف معنى كلمة «الوصيد» ولما هممت أن آتى بالمصحف المفسر لأكشف عن معناها تذكرت أننى أقيم فى مكان بعيد، فقلت فى نفسى: أذهب لألقى درسى، ثم إذا عدت إلى البيت أكشف عن معنى هذه الكلمة، وكان شيخنا ـ الشيخ صالح الجعفرى ـ يلقى الدرس من الظهر إلى العصر كعادته، فدخلت عليه وجلست فى حلقته، وبينما يسير الدرس سيرا متصلا بتفسير آية من القرآن الكريم ـ ليست من سورة الكهف ـ سكت الشيخ، فقلت: ماذا يقصد شيخنا بقطع درسه؟ ثم أخذ الشيخ يقرأ آيات مرتلة من سورة الكهف، إلى أن وصل إلى قوله تعالى: ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ وعند ذلك قال الشيخ: «إن الكلب بسط يديه على هيئة كذا وكذا، والوصيد هو الفناء .. نعود بعد ذلك إلى درسنا يا أحباب !!»، فقلت فى نفسى: جزاك الله تعالى خيرا .. وهذا من نور الله».

وقصة أخرى يرويها لنا رجل من أهل العلم وكان من تلاميذ العارف بالله سيدى محمد الشريف، وهو الشيخ محمد عبد الجواد العدوى، الذى كان يعمل موجها بوزارة التربية والتعليم، فيقول ـ رحمه الله تعالى ـ: «كنت أسكن فى رواق الصعايدة، حينما كنت فى كلية اللغة العربية بالقاهرة، وكنت أحضر دروس الجمعة دائما، وقد رأيت كرامات عديدة من الشيخ ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى دروسه، وهذه واحدة منها:

فى أحد الدروس سأله رجل من كبار المسئولين، وكان يعمل مستشاراً وكان يأتى بسيارته ليحضر الدرس، فقال للشيخ: هل من الممكن أن يظهر سيدنا الخضر فى صورة رجل أى رجل، أم أن له صورة معينة يظهر فيها؟ فلم يرد عليه الشيخ، ثم سأله رجل آخر كانت تبدو عليه آثار الفقر والحاجة، فأجابه الشيخ عن سؤاله، ومضى الرجل، ثم التفت الشيخ إلى السائل الأول قائلا: أين الذى سأل السؤال الأول؟ فقال الرجل: أنا يا فضيلة الشيخ، فسأله الشيخ: ماذا كنت تقول؟ فأعاد الرجل السؤال عليه مرة أخرى، فأجابه الشيخ قائلا: إن الذى

(١) الكهف: ١٨.

سألنى بعدك هو سيدنا الخضر عليه السلام. فأخذ الرجل يتلفت يمنة ويسرة، باحثا عن السائل فى حلقة الدرس، فلم يجده !!

هكذا كانت حلقات درس الشيخ رضى الله تعالى عنه، حافلة بالأسرار والكرامات، وكانت جامعة لشتى أنواع المعارف والعلوم، من علوم شرعية فيها الفقه المبين للحلال من الحرام، وتفسير لكتاب الله تعالى، وشرح لأحاديث النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ رواية ودراية، وشرح لمسائل التوحيد وتلقينها للسامعين، كما كان الشيخ رضى الله تعالى عنه يتناول فى درسه سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيان صفاته ومعجزاته ـ وما كان عليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فى حياته، وما يتعلق بحقوقه فى حياته وبعد مماته، وكذلك ما يتعلق بسيرة أهل البيت رضى الله تعالى عنهم أجمعين وسيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان شيخنا ـ عليه رضوان الله تعالى ــ يتناول فى درسه المشكلات الاجتماعية التى تحدث فى المجتمع، فيعالجها علاجا ناجعا، فكان كل من يحضر درسه يجد حلا لمشكلته بالتصريح أو التلميح، وكان المهتم بالفقه يعرف الأحكام الشرعية من فقهه الجامع لمختلف المذاهب، وكان المتصوف يرتوى من أسراره وإشاراته لمعانى آيات كتاب الله تعالى الظاهرة والباطنة، وكان طلاب الحديث يجدون لديه بغيتهم من دقة الرواية، والفهم النافذ والبصيرة الثاقبة بمعانى الحديث، وكان المهتم بالتفسير يعرف من تفسير الشيخ معانى جديدة لم يقرأها ولم يسمع بها من قبل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، إذ القرآن الكريم لا يزال بكرا إلى يوم القيامة، مع بصر الشيخ ومعرفته بأسرار اللغة ومعانيها وضبطه الدقيق لألفاظها وكلماتها.

وكان الشيخ ـ عليه رضوان الله تعالى ـ يخاطب السامعين بما يناسب فهمهم وادراكهم، ويوصل العلم إلى عقولهم وقلوبهم بأسلوب سهل مبسط محبب إلى النفوس، ممزوج بالطرائف والنوادر التى تجذبهم وتروح عنهم وتدفع الفتور والملل.

وهذه الدروس التى نقدمها بين يدى القراء المحبين للشيخ رضى الله تعالى عنه هى جزء

من الدروس الكثيرة التى ألقاها الشيخ رضى الله تعالى عنه بالأزهر الشريف، جمعها ودونها بعض تلاميذ الشيخ، حيث أذن لهم بكتابتها أثناء حضورهم درسه المبارك بالأزهر الشريف. وقد روعى فى إخراجها منهج الاختزال المتعارف عليه عند أهل العلم.

فعليكم أيها الأحبة بقراءتها وفهمها وتبليغها للناس، فقد كان الشيخ رضى الله تعالى عنه يحث على ملازمة دروس العلم، فيقول:

ولازم العلم واجلس فى مجالسه * لاتشتغل بحطام المال والنعم

وكان يدعو لمن حضر درسه وانتفع به فيقول:

وارض عمن سمعوا منى الهدى * فى دروس العلم ممن شغفا

بسماع الدرس فى القائه * درا تضوى ونورا صدفا

من بحار المصطفى خير الورى * صاحب العلم الذى قد أتحفا

فرضى الله تعالى عن شيخنا الإمام سيدى صالح الجعفرى وأرضاه وجزاه عن العلم وأهله خير الجزاء، وحفظ نجله سيدى العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ عبد الغنى صالح الجعفرى، شيخ الطريقة الجعفرية الأحمدية المحمدية ووفقه لخدمة العلم ونفع المسلمين ... آمين.

دار جوامع الكلم

* * *

افتتاحية الدرس

كان شيخنا ـ عليه رضوان الله تعالى ـ يقدم لدرسه بهذه المقدمة:

«اعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلى الله تبارك وتعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

«سبحانك لاعلم لنا إلاما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم»(١).

«وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلاهو، ويعلم ما فى البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولاحبة فى ظلمات الأرض ولارطب ولايابس إلافى كتاب مبين»(٢).

وبالسند المتصل إلى أئمة التفسير والقراءات والحديث من علماء الأزهر الشريف وغيرهم رضى الله تبارك وتعالى عنهم، ونفعنا الله وإياكم بهم وبعلومهم آمين.

* * *

(١) البقرة: ٣٢.

(٢) الأنعام: ٥٩.

الـــدرس الأول

بعد المقدمة المعتادة قال رضى الله تعالى عنه:

فى تفسير قوله تبارك وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيرا فهو خيرا له وأن تصوموا خيرا لكم ، إن كنتم تعلمون﴾ (١). صدق الله العظيم.

من أسماء الله تعالى «البديع» أى أنه لم ير أحدا خلق خلقا ثم خلق مثله، ولم يسمع كلاما ثم قال مثله، ولم ير أحدا يشرع تشريعات ثم شرع مثلها، ولكن الله بديع، يعنى: أن كل شىء يفعله لم يفعله أحد قبله، فهو فى أحكامه بديع،وهو الخلاق العليم.

ومن إبداع الله سبحانه وتعالى وأحكامه عز وجل: الصيام فإذا صام الإنسان فهو متبع لتشريعاته ـ سبحانه ـ وإذا أفطر دون عذر ولم يؤد حق الله خرج عن تشريعات الله: **﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾** (٢) وقال تعالى: **﴿ففروا إلى الله﴾** (٣) أى من أعدائه ومن السبل المؤدية إلى جهنم، أى سبل معصية الله عز وجل، فطريق الله هو الكتاب والسنة، أما أن تقرأ كتب الشيوعية وما فيها، وكتب النصارى وما فيها، فإذا ما أخذ الإنسان كتابا منها فقد ارتكب ذنبا قبل أن يقرأه، وهذا الذنب أعظم من الزنا، لأنه إذا قرأ كتابا من كتب النصارى والشيوعيين فمال قلبه إليها كفر بالله تعالى وبرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولذلك قال ربنا سبحانه وتعالى:**﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾** (٤) وذلك مثل رجل رأى حبل المشنقة فأدخل رقبته فيها،والله تعالى يقول **﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾** (٥)قال رسول الله ـ صلى الله عليه

(١) البقرة: ١٨٣، ١٨٤.
(٢) الأنعام: ١٥٣.
(٣) الذاريات: ٥٠.
(٤) البقرة: ١٩٥.
(٥) النساء: ٢٩.

وسلم ـ «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا» رواه البخارى ومسلم.

إذن، فالإنسان إن لم يشهد بالشهادتين فليس هناك إسلام. وإن لم يصل فليس هناك إسلام، وإن لم يصم فليس هناك إسلام ، وإن لم يزك فليس هناك إسلام، فالإسلام له خمسة أركان : إذا نقص أى واحد منها لم يوجد إسلام، فالمسلم الحق : هو من يؤدى جميع فروض الله تعالى.

والصيام عند العرب معناه: الإمساك ـ يعنى الترك ـ فلان صام عن الكلام : لم يتكلم «إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا»[1] فالكلام بالإشارة، أما «فلن أكلم اليوم إنسيا» فتحديد لنوع الصيام الذى صامته السيدة مريم ـ رضى الله تعالى عنها ـ .

والله سبحانه وتعالى سمى الصوم صوما لأنه ترك للطعام والشراب والنساء يوما كاملا، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس،من طلوع الفجر أو معه، فإذا سمع المؤذن ترك الأكل، فهذا إمساك مع طلوع الفجر،أما «من الفجر»[2] فتعنى: قبل الفجر بقليل.

ثبوت الرؤية:

تثبت الرؤية بثلاثة أشياء:

أن يرى عامة الناس الهلال، أو أن يراه جماعة منهم ويثبتوا ذلك عند الحاكم، أو أن تتم عدة شعبان ثلاثين يوما إذا لم يظهر الهلال أو كان هناك غيم كثيف يمنع الرؤية.

ويجب الصوم: على المسلم البالغ العاقل القادر على الصوم..

ويعرف البلوغ عند الأولاد بنزول المنى أو نبت شعر الشارب واللحية والعانة والإبط، أو إذا أتم ثمانية عشر عاما دون النظر إلى نبت الشعر ونزول المنى، وعند البنات يزيد (نزول الدم).

---

(١) مريم: ٢٦.

(٢) البقرة: ١٨٧.

قال الإمام مالك رحمه الله: يكره صوم غير البالغ للتعب والمشقة.

وقال الإمام الشافعي: يستحب صومه لأجل التمرين إذا كان قادرا.

النيـــــة:

قال المالكية: ينوى الشهر كله جملة واحدة، يعنى يقول فى أول ليلة من رمضان: نويت صيام شهر رمضان إيمانا واحتسابا لوجه الله تعالى، ويستحب أن يجدد النية كل ليلة، وإذا نسى فليس عليه حرج، لأنه قد نوى فى أول الشهر،وقد قاسوا ذلك على الصلاة، لأن الفرد يصلى الظهر مثلا أربع ركعات بنية واحدة، ولا ينوى كل ركعة.

أما الشافعية فقد قالوا: لابد من النية كل ليلة، وعن حجة المالكية قالوا: إن الركعات الأربع متواصلة بينما الصوم منقطع، فلا يصح القياس.

فضل الســـــحور:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تسحروا فإن فى السحور بركة» رواه البخارى ومسلم.وقال الشيخ السحرتى رحمه الله: من بركة السحور: أنك تصلى الفجر أو تذهب إلى المسجد لتصلى جماعة، فالسحور سنة مستحبة، كما فى الحديث، كذلك نجد أن نوم الظهيرة يقوى على قيام الليل، كذلك السحور يقوى الصائم فى النهار، وبعد السحور يجب على كل واحد أن يفعل الآتى:

قبل الأذان بثلث ساعة يمنع الأكل والشرب، ويستحب أن ينظف أسنانه بالخلة أو بالسواك، ويغسلها جيدا ليستعد للصيام، وفى النهار يجب على الإنسان إذا شتمه أحد أن يقول: إنى صائم، إنى صائم لأن الصوم جنة، أى وقاية.

فتـــــاوى:

يكره شم الرياحين فى نهار رمضان، وكذا العطور والبخور، وعند المالكية تحرم القطرة والكحل والنشوق والمعجون، لأنها مفطرة إذا وصلت إلى الحلق فى نهار رمضان، ومضغ اللبان أيضا مفطر.

أما الشافعية فقالوا: تجوز القطرة والكحل فى نهار رمضان وقالوا: إذا دخلت حبة القمح فى الأنف فإنها لا تفطر، لأنها جافة، وبالقياس عليها، فالنشوق لا يفطر عندهم، غير أن المالكية قالوا: إن النشوق يختلط بالماء فى الأنف،فيلين ويسقط فى الحلق وعليه، فهو مفطر.

أما الحقن فهى نوعان:

إما أن تحمل دواء، وأما أن تحمل غذاء، فإن حملت دواء فهى جائزة، وإن حملت غذاء فهى مفطرة، سواء أكانت فى العضل أم فى الوريد، أما الحقنة الشرجية فهى بإجماع العلماء مفطرة.

يقول الله تبارك وتعالى﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ فالنداء موجه للمؤمنين خاصة، وليس للنصارى واليهود، فيامن آمنتم بالله أجيبوا داعيه، لقد كتب عليكم الصيام: كتب فى الشرع بمعنى فرض ووجب وتحتم ﴿**كما كتب على الذين من قبلكم**﴾ من الأمم السابقة، من لدن آدم وحواء، إلى زمن سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم.

ولم يبين لنا أكان فى رمضان أيضا أم كان فى غيره، الله أعلم.

«كما»: مثلما كتب على الأمم السابقة، مائة وأربعة وعشرون ألف نبى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا ـ عليهم الصلاة والسلام.

﴿**كما كتب على الذين من قبلكم**﴾ فيه تسلية واعتناء بشأننا، وامتنان علينا، وفيه أيضا ما يجعلنا نجد ونجتهد لأجل ألانكون أقل منهم درجة، وكيف وهم رجال ونحن رجال؟! وهذا عطف إلهى، والقرآن كله ذوق ولطف، فإذا سأل أحد: ما فائدة الصوم؟ قيل له: ﴿**لعلكم تتقون**﴾.

ومن اللطف فيه أنه لم يكن أياما كثيرة، بل:﴿**أياما معدودات**﴾ شهر من اثنى عشر شهرا.

«فمن كان منكم مريضا» لم يقل ذلك فى الصلاة، ﴿**أو على سفر**﴾ مسافر فعلا لا ناويا

للسفر فقط، فليفطر، أى يأكل ويشرب، وبعد ذلك ﴿فعدة من أيام أخر﴾ أى يقضى بعد رجوعه أياما بدلا من سفره.

مدة السفر:

الذى يرخص فيه الفطر ساعتان بالسيارة مسافة «٨٠ كيلو مترا» تقريبا، وبالابل يوم وليلة، وهى المدة التى تقصر فيها الصلاة أيضا، والفطر هنا ليس واجبا، ولكنه مستحب، فإن صام فالله يتعالى تقبل منه.

﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ فأصحاب الأمراض المستعصية أو المسنون، على كل منهم فدية عن كل يوم مد (ملء اليدين المتوسطتين) من القمح أو التمر أو الزبيب، وتخرج يوما بيوم، ويجوز أن تخرج بعد أيام القضاء، ويقاس على ذلك المرضع التى لاتجد مرضعة لولدها، أو لاتجد ما تؤجر به مرضعا فإنها تفطر وتطعم، أما الحامل التى تخاف على نفسها أو على جنينها، فيجوز لها أن تفطر ثم تقضى بعد ذلك بدون طعام.

من أسس الصوم:

أن يتسحر من حلال، ويفطر من حلال، وعندما يحين موعد الأذان ويريد أن يفطر يقول داعيا: «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت».

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «للصائم دعوة مستجابة عند فطره» رواه ابن ماجه. والدعوة المستجابة: ما بين رفعه اللقمة ووضعها فى فمه، ويستحب أن يفطر على ما كان يفطر عليه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: رطبات، فإن لم يجد فتمرات، فإن لم يجد حسا حسيات من ماء وشربها، والأفضل الإفطار على شىء حلو، ثم يصلى المغرب، ولا يؤخر الافطار بعد الصلاة، لأن تعلق القلب به يشغل عن الصلاة. قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا فقد أفطر الصائم» يعنى بوجوب أذان المغرب لا يوجد صائمون، سواء أفطروا أم واصلوا، فلن يجزوا عطاء الصائمين.

أمور متجاوز عنها فى الصوم:

يعفى عن غبار الشارع، والدقيق للطحان، وبخار الطعام للطاهى: ولا حرج إذا دخلت بعوضة أو ذبابة فى جوفه بلا تعمد منه، والا أفطر، وقال المالكية: يكره تذوق الملح فى نهار رمضان.

ولا يجوز بلع الريق بعد المضمضة مباشرة، بل بعد أن يطرح ريقه حتى يزول طعم الماء منه.

وقال المالكية: يستحب السواك فى جميع نهار رمضان. وفى الحديث: «الخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» رواه البخارى ومسلم.

الخلوف: هو تغير الفم من الجوع بعد الظهر، وعليه قال الشافعية: يكره السواك بعد الزوال حتى لا تضيع رائحة المسك التى أوجدها الله فى فم الصائم، ومن ثم فلا يستاك.

والجنابة لا تمنع الصوم ولا تبطله، فيصوم ويغتسل فى أى وقت يتيسر له الغسل، ولكن يجب أن يكون بحيث يصلى الصبح فى وقتها، أى: قبل طلوع الشمس. جاء شاب إلى عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما، وقال له: يا ابن عباس: هل للصائم أن يلاعب زوجته فى نهار رمضان فقال: لا، ثم جاءه رجل يبلغ من العمر ثمانين سنة، وسأل مثل سؤال الشاب، فقال له: يلاعبها وإن شاء قبلها. فغضب الشاب وقال: أهما دينان يا ابن عباس؟ ! قال: لا، ولكن أنت شاب عرقك معلق فى أنفك.

ويكره للصائم أن ينام مع زوجته فى نهار رمضان على فراش واحد، لئلا يضحك الشيطان عليه.

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال، فكأنما صام الدهر كله» رواه أبو داوود.

الدهر: سنة، يعنى أن الحسنة بعشر أمثالها، فشهر رمضان بعشرة أشهر، وستة أيام بشهرين تمام الستة.

الشافعية قالوا: يستحب التتابع فى صوم الأيام الستة ـ يعنى بعد يومين أو ثلاثة أيام من رمضان.

أما المالكية فقالوا: يكره وصلها برمضان ـ يعنى ينتظر سبعة أيام أو ثمانية، ثم يصوم، لأن التتابع ربما جعله يعتقد أنها واجبة، وقال الإمام مالك: أخشى أن يعتقد العامة وجوبها.

أما الحائض، فلا يجب عليها الاغتسال عند الصوم، ولكن انقطاع الدم هو الشرط الأساسى فى صحة الصوم، فإذا انقطع الدم قبل الفجر ولو بلحظة (بعشر دقائق مثلا) فإنها تنوى الصيام وتغتسل بعد الفجر.

المشهور عند المالكية أنه لا يجوز جماع الحائض إلا بعد الغسل، وبعضهم قال: الغسل ليس شرطا ـ يعنى إذا انقطع الدم جاز لزوجها أن يجامعها بعد أن تتيمم إن خاف الضرر بطول المدة.

مدة الحيض:

مدة الحيض خمسة عشر يوما، فإن زادت على ذلك، فإنها تغتسل وتصوم وتصلى وتوطأ، ويعد الدم النازل دم مرض، أى علة وفساد، وحكمه حكم الماء، ولا يبطل الصوم ولا الصلاة، أما إذا كانت المدة أقل من ذلك فيكون حيضا، فتقضى المرأة الصوم، ولا تقضى الصلاة.

متفرقات:

معنى المدد: مدد يا رسول الله، دليله قوله تعالى: ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ (٢)

وقال أبو البركات الدردير:

وصل على المبعوث بالنور والهدى * وبالمدد الفياض منه أمدنا

(١) التوبة: ٥٩ (٢) الفتح: ١٠.

وفى دلائل الخيرات:

يـا رحمـة الله إنـى خـائف وجـل * يـا نعمـة الله إنـى مفلـس عـانـى
وليـس لـى عمـل ألقـى العليـم بـه * سـوى محبتـك العظمى وإيمـانـى
فكـن أمـانـى من شـر الحيـاة ومـن * شر الممـات ومن إحـراق جثمانـى
وكـن غنـاى الذى مـا بعـده فلـس * وكن فكـاكى مـن أغلال عصيـانى
تحيـة الصمـد المـولـى ورحمتـه * مـا غنت الـورق فى أوراق أغصـان
عليك يا عـروتى الوثقى ويـا سندى * الأوفى ومن مدحـه روحى وريحانى

مدة القصـــر:

للمسافر أربعة أيام، أى: يجوز له القصر فى عشرين صلاة، فإن زاد على ذلك وجب عليه الإتمام، وهذا على مذهب الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى.

التيمـــم:

يمكن أن يكـون على الحجـر غير المحروق، وأمـا على الخشـب فيجوز إذا خشـى فوات الوقت، ولم يجد غيره، وعند الشافعية: يصح على الحصير والسجاد إذا ضربه فصعد التراب، أما إذا لم يظهر التراب فلا يصح.

وعند المالكية: لا يجـوز التيمم على الحصير والسجاد إلا إذا كثر ما عليـه من التراب حتى يستره، فـإنه يكـون من التيمـم على التـراب المنقول، ويصـح التيمم علـى الملح والكحـل والشب، إذا كانت بموضعها لم تنقل، أما إذا كانـت عند التاجر فلا يصح التيمم عليها، لأنها صارت أموالا كالعقاقير.

مســألة فى الطهارة:

إذا نزل البـول على السجادة فـلابد من غسلها، أمـا إذا كان بول طفـل لم يأكـل الطعام، فيكفى رش مكان البول بالماء [عند غير المالكية].

نجاسة الكلب:

المالكية قالوا: إن لعابه ودمه وعرقه طاهر، وعند الشافعية: هذه الأشياء كلها نجسة، ودليلهم في ذلك حديث الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا إحداهن بالتراب» رواه البزار.

أما المالكية، فيستدلون بقول الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «كل حي طاهر».

فغسل ريق الكلب ليس لنجاسته، وإنما لأمر يعلمه الله.

وفي الحديث الذي رواه البخاري: «كانت الكلاب تبول وتقبل وتدبر في المسجد في زمان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فلم يرشوا شيئا من ذلك».

بال رجل في المسجد فقام إليه الصحابة يريدون أن ينقضوا عليه،ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أمرهم بتركه، وأمرهم أن يريقوا الماء على مكان البول بعد أن يخرج ما ابتل من التراب، فقال الأعرابي: اللهم ارحمني وارحم محمدا ولا ترحم معنا أحدا، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد حجرت واسعا» [1] رواه الترمذي وأبو داوود.

موانع دخول الملائكة:

لا تدخل ملائكة الرحمة بيتا فيه كلب أو صورة أو جرس، لأنها تنزعج منها. قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :«وعدني جبريل أن يأتي غدا وانتظرته فلم يحضر» فضاق صدره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لذلك، فنظر تحت السرير فوجد جروا يلعب، فأمر باخراجه، فعندما خرج الجرو نزل جبريل عليه السلام، فقال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «أبطأت علينا يا جبريل»، فقال له جبريل: أما تعلم أنا لا ندخل بيوتا فيها كلاب أو صور؟

قال العلماء: الإنسان معه من الملائكة عشرون حفظة، وكاتبان، والكلب لا يمنع إلا ملائكة الرحمة فقط، ولكن يتجاوز عن كلب الحراسة وكلب الغنم وكلب الصيد. قال عليه

---

(١) أي ضيقت ما وسعه الله وخصصت به نفسك دون غيرك.

الصلاة والسلام: «إذا سمعتم نهيق الحمار فاستعيذوا بالله من الشيطان فإنه يرى شيطانا، وإذا سمعتم صوت الديك فاسألوا الله من فضله، فإنه يرى ملكا» البخارى ومسلم.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله المصورين».

قال العلماء: إلا العرائس الصغيرة، لأن السيدة عائشة كانت عندها دمية صغيرة.

سيد الاستغفار:

«اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» رواه البخارى، صدق رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم.

من قاله مرة فى الصباح غفر له، ومن قاله فى المساء غفر له.

الصلاة فى المقابر:

قال المالكية: تكره الصلاة فى المقبرة والمزبلة وقارعة الطريق والمجزرة إن شك فى نجاسة هذه المواضع، فإن جزم بالنجاسة أعيدت الصلاة، وإن جزم بالطهارة كانت الصلاة جائزة، أما إذا فرش شيئا وصلى عليه فتجوز الصلاة بلا كراهة، أما الصلاة فى مرابض الغنم والبقر، أى موضع بروكها حين القيلولة والمبيت، فإنها جائزة من غير فرش يصلى عليه، لأن بولها وبعرها طاهر، وإذا حلب اللبن فيعفى عن البعرة والبعرتين تسقطان فيه.

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» رواه البخارى ومسلم.

يعنى: تماثيل يسجدون لها، ولا قبر لنبى فى الدنيا يسجد له الآن، ومساجد: جمع مسجد، على غير قياس، والقياس: مسجَد بالفتح، يعنى مكان للسجود، ويسجدون عليها أو لها.

سبب ورود الحديث: كان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى مرض موته فى بيت السيدة

عائشة رضى الله عنها، وكانت السيدة عائشة تتحدث مع نساء هاجرن إلى الحبشة ـ ومنهن السيدة أسماء بنت عميس الخثعمية ـ ثم عدن، فكانت السيدة أسماء تحكى للسيدة عائشة ما رأينه بكنيسة الحبشة، فإنهن رأين بها تمثالا للمسيح عليه السلام وتمثالا للسيدة مريم عليها السلام، وما يفعله النصارى مع هذين التمثالين من السجود لهما، فلما سمع النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هذا الكلام قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، ولا توجد قبور أنبياء للنصارى فى الحبشة، وإنما هى التماثيل التى كانت السيدة أسماء تحدث عنها، فهذا الحديث يفسر بالسبب.

وقبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ليس مقبرة، وإنما هو مطهرة.

المالكية قالوا: إن السبب فى النهى عن الصلاة فى المقبرة هو خوف النجاسة فالنهى معلل بالنجاسة، فلو فرش عليها فراش زالت علة النهى وجازت الصلاة.

النهى عن الصلاة فى معاطن الإبل ـ وهى موضع بروكها عند الماء للشرب ـ لأن الإبل تبول بعد أن تشرب فينزل منها المنى بعد البول فتنجس الأرض، فلو فرش ثوبا وصلى عليه كانت صلاته صحيحة.

قال العلماء: المحرم لعلة غير المحرم لغير علة، أى الحرمة الأصلية، والأصل فى الأرض الطهارة، فلو تنجست منعت للعلة، فإذا أزلنا النجاسة ذهبت العلة.

قبر سيدنا الحسين مكانه أطهر من كف الإنسان.

ختـــام الصلاة:

روى البخارى فى باب الذكر بعد الصلاة: عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كنت أعرف انقضاء صلاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالتكبير». وفى كتاب المغيرة بن شعبة إلى معاوية أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول فى دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

صلاة التـــراويح:

قال الشيخ محمود خطاب السبكى فى شرح سنن أبى داوود: صلاة التراويح فى رمضان مستحبة والعدد فيها غير محدود وهذا كلام أئمة العلم. قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه الشيخان.

ولم يقل الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من قام رمضان وصلى عشر ركعات أو عشرين أو ثلاثين، وسيدنا عمر رضى الله عنه باجتهاده جمع الناس على عشرين ركعة فى المسجد ومن هنا فهى سنة.

قال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ» رواه الترمذى وابن ماجه.

وقال أيضا: «أبوبكر وعمر سمعى وبصرى» رواه الترمذى.

ولقد وافق آلاف الصحابة على العشرين ركعة، منهم عثمان وعلى المبشران بالجنة.

وعليه فقد قال الإمام مالك عالم المدينة ـ رضى الله عنه ـ والإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ: إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليس عليه تراويح، وإنما الواجب عليه قيام الليل.

ولقد خرج صلى الله عليه وآله وسلم أول يوم فَصلَّى وصلى الصحابة وراءه، وصلى فى اليوم الثانى، وفى اليوم الثالث لم يخرج، وقال: «أخاف أن تفرض عليكم».

واختلف الرواة فيما صلاه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: هل صلى ثمانى ركعات أم عشر ركعات ـ غير الشفع والوتر ـ ولم يزد على ذلك ـ صلى الله عليه وآله وسلم.

مكان صلاة التراويـــح:

قال المالكية: يجوز أن تصلى التراويح فى المنزل لمن قويت نيته ولم تعطل المساجد عن صلاة التراويح فيها.

المنـــــى:

هل هو طاهر أم نجس ؟

قال الشافعية: يستحب غسل المنى لأنه طاهر.

والمالكية قالوا: يجب غسل المنى لأنه نجس.

النوم فى نهار رمضـــان:

جائز وليس مكروها ولا محرما.

حكم الحيض والنفاس فى الحج:

خرج النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من المدينة حاجا، وكان أبو بكر يأتى عنده ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتأخر الصديق يوما ثم جاء واضعا يده على فيه وهو يبتسم ويقول: يا رسول الله.. أرأيت الخثعمية؟ إنها ولدت، فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ:

«ما عليها، تربط حفاظها وتحج معنا ولا تطوف إلا بعد انقطاع الدم» فلما وصل إلى مكة وجد عائشة حائضا فقال: «ما عليك.. حجى معنا إلى أن ينقطع الحيض فاغتسلى وطوفى». فالحائض والنفساء حكمهما واحد.

طواف الإفاضة: لا يصح الحج بدونه، وعليه فالحائض والنفساء تنتظران حتى ينقطع الدم.

السيدة فاطمة الزهراء: سميت الزهراء، لأنه لا يأتيها حيض ولا نفاس كباقى النساء فهى البضعة الطاهرة النبوية، وقبل نزول آية الحجاب أخذ صلى الله عليه وسلم بيدها وقدمها لصحابته قائلا: «هذه فاطمة بنت محمد من لم يعرفها فليعرفها فاطمة بضعة[1] منى من أغضبها فقد أغضبنى» رواه البخارى. فهى سيدة نساء العالمين كما فى البخارى، وهى أفضل من مريم وآسية امرأة فرعون، وهى أفضل نساء العالمين، أما السيدة مريم فقد قال الله

(١) البضعة: القطعة من اللحم، أى فاطمة جزء منه صلى الله عليه وآله وسلم.

تعالى عنها: ﴿واصطفاك على نساء العالمين﴾ [1]، أى عالمين زمانك، وهى أفضل من خديجة، لأنها ليست قطعة من النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بل تشرفت بالجوار.

القيء:

من غلبه القيء وهو صائم ولم يبتلع منه شيئا فصومه صحيح، لأن العبرة بما قد وصل الجوف من الطعام وليس بما قد خرج منه، ومن استقاء ـ أى طلب القيء ـ فقد أفطر وعليه القضاء، فإن رجع منه شيء عمدا أو سهوا فعليه القضاء والكفارة.

إذا ابتلع الصائم الدم فقد أفطر، فهو نجس يحرم ابتلاعه.

الصلاة بثوب نجس:

إذا صليت وأنت تحمل النجاسة وأنت لا تعلم بها ولم تتذكرها فى الصلاة ثم تذكرتها بعد الصلاة، فعليك القضاء إذا بقى الوقت ندبا، وإذا فات الوقت فلا قضاء لأن إزالة النجاسة واجبة عند الذكر والقدرة، ساقطة عند العجز والنسيان.

* * *

(١) آل عمران: ٤٢.

الـــدرس الثانى

فى تفسير قوله ـ تبارك وتعالى ـ وهو أصدق القائلين: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾(١).

هذه الآية الشريفة تحدثنا عن أحوال أعداء الله، وعن مواقفهم إلى يوم القيامة، ولذلك إذا تلوناها اطمأنت قلوبنا، وعلمنا مصير أعدائنا.

﴿إن الذين كفروا﴾ : شأنهم وحالهم ما داموا أحياء فى الدنيا، يكرهون الإسلام وأهله، وينفقون أموالهم، ليردوا الناس عن تعاليم الإسلام وأحكامه، ويردوا مدنيته إلى مدنية غاشمة ظالمة، عن أمة كافرة.

﴿ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾ ،والقرآن الكريم يتكلم بالغيبيات، قال الله تعالى: ﴿فسينفقونها﴾ : تأكيد، فى سبيل قصدهم وبغيهم وما يريدون.

﴿ثم تكون عليهم حسرة﴾ تكون عليهم هذه الأموال حسرة لفواتها، حيث لم ينتفعوا بها وأضاعوها، ولم يصلوا لمقصدهم من الصد عن سبيل الله، وتبديل كلام الله وشرعه وأحكامه،﴿ثم يغلبون﴾ ،يعنى أن الأعداء المحتلين يدخلون مصر، ويمكثون فيها ما يشاء الله، ثم يخرجون والناس على إسلامهم وإيمانهم.

ومعنى "يخرجون" فى الظاهر، وأما "يغلبون" فمعناه: لا يصلون إلى ما أرادوا من تحويل المسلمين عن دينهم، وصدق الله ـ تعالى ـ فيما قال.

ولقد حافظ الله ـ سبحانه وتعالى ـ على شرعه وأحكامه لأمرين:

الأول: ليعلم الكفار أنهم قد غلبوا وهزموا.

---

(١) الأنفال: ٣٦.

والثاني: ليكون حجة على المسلمين، إذا لم يعملوا بكتاب الله ـ تعالى ـ وشرعه العالي.

فالله ـ تعالى ـ قد حفظ لكم دينكم وشرعكم وكتابكم لتعملوا، وإلا فهو حجة عليكم، وأخرج الكفار من بلادكم لتخلو لكم، وليحكم حكامكم بما أنزل الله، في الجزائر، في السودان، في ليبيا، في جميع البلاد التي كانت محتلة، أخرجهم الله بقوته، وحفظ للمسلمين إيمانهم وشريعتهم ليعملوا، فنحن الآن في زمن العمل، والخطاب متوجه للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها للعمل بكتاب الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

والنداء هو:

قد أخرج الله الكفار من بلادكم، وحفظ لكم شرعكم، فلماذا تعرضون؟ ..

نسأله ـ تعالى ـ أن يهدينا للعمل بكتابه، وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ آمين.

ولأن له صفة الرضا وصفة الغضب، فهو يرضى لسبب، ويغضب لسبب: فلا يرضى عن أمة أبدا حتى تعمل بكتابه، وإذا لم تعمل أمة بكتابه غضب عليها، وإذا رضي الله ـ تعالى ـ تمت المقاصد والمطالب وكساهم الله ثوب العزة التي وعدهم إياها: ﴿ولله العزة ولرسوله والمؤمنين﴾ (١)، وأما إذا لم يعملوا فالذلة، ومن الذلة عدم الوصول إلى المقصد، والمؤمنون الآن يريدون شيئا ولا يصلون إليه، ولا يتم لهم ما أرادوا، لأنهم لم يتموا المعاهدة ولا العمل.

ومما ينزله الله على المؤمنين: النصر، ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ (٢)، فلا نصر إلا من عنده ولا ينصرهم إلا إذا رضي عنهم، ولا يرضى عنهم إلا إذا حكموا بأحكام الله تعالى، فهذا كلام متصل بعضه ببعض، نسأل الله تعالى أن يوفقنا في العمل جماعة وأفرادا.

فالرجل إذا لم يعمل بكتاب الله ـ تعالى ـ بنفسه غضب الله عليه، وتكدرت أحواله الظاهرة

(١) المنافقون: ٨.

(٢) آل عمران: ١٢٦.

والباطنة، فهو رب الظاهر والباطن، ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (١): فى الأفراد، فضلا عن الأمم، لأنه لا رب إلا الله، ولا حاكم إلا الله، وهذا العالم علويه وسفليه يجرى تحت قضائه وقدره ورضاه وغضبه، فتارة يظهر ـ سبحانه ـ الرضا على من رضى عنهم، وتارة يظهر غضبه على من غضب عليهم وأغضبوه، فلابد أن يلاحظ المؤمن شيئا واحدا، وهو أن الله ـ تعالى ـ خلق سمعه وبصره وحياته وموته ورزقه ونومه ويقظته، فكل شىء بيد الله ـ تعالى ـ:

﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار﴾ (٢)، فما نوم أحدكم واستيقاظه إلا بقدرته ـ تعالى ـ وارادته، لا يتخلف عن سمعه وبصره شىء فى الدنيا ولا فى الآخرة، فلتوجه إليه ـ تعالى ـ توجها خالصا بلا شريك فهو لا يرضى بمشاهدته مع الفانى.

﴿كل من عليها فإن. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام﴾ (٣)، صاحب الجلال إذا غضب، والاكرام إذا رضى، فحافظ على تلك الصفتين العظيمتين: رضوانه، وغضبه، فاعرفهما، فإذا أردت أن تدخل الجنة، فلا تكن كمن صنع سفينة وأوقفها على الأرض، ثم قال للناس: ادفعوها حتى تسير، فقالوا له: وهل السفينة تمشى على الأرض اليابسة؟.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * إن السفينة لا تجرى على اليبس
دعها سماوية تمشى على قدر * ولا تدرها بعقل منك تنعكس

دعها سماوية: أى اترك نفسك تسير على أوامر السماء: الصلاة، الزكاة ... وسائر أمر السماء، فإذا تركت أوامر السماء انعكست عليك نفسك، فنحن البشر ليست لنا آراء مع القرآن.

لو نظرنا إلى روسيا أو أمريكا لغرقنا، ونحن المسلمين معنا الله، فمن أعلم وأعظم منه؟ وعندنا كتابه الكريم، فلا نحتاج لكتاب غيره.

فهو الحى الذى لا يموت وهو الذى شرع التشريع، وهو الذى خلق الخلق وأحياهم

(١) لقمان: ٢٠.
(٢) الروم: ٢٣.
(٣) الرحمن: ٢٦، ٢٧.

وأماتهم، وهو حي فيهم، وهو الذي استعبدهم، وهو جدير بأن يعبد، فقد خلق الوجه وصوره فلا ضير أن يسجد الوجه لخالقه ومصوره، وخلق الركبتين واليدين، فلا ضير أن يسجدوا لخالقهم ومصورهم، لكن، كيف نعبد من لا يخلق؟

﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق، أفلا تذكرون﴾ (١): تعبدون الوثن والصنم وهو لا يخلق، وتتركون عبادة من خلقكم وهو معكم، وخلق كل شيء، فهو ـ سبحانه ـ يستحق العبادة شكرا على صنعته ونعمه الظاهرية والباطنة، فهو ـ سبحانه ـ ينادي: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ ؟ لا يارب.. من يخلق يستحق الشكر، ولا نعامك علينا فأنت جدير وحقيق بالعبادة، وما سواك لم يقدم لنا انعاما لنعبده من أجله: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (٢).

﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها﴾ (٣)، ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ (٤)، ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ أي جعله ذا منازل، ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ (٥).

فوجب عليك أيها العبد العبادة والخشوع والخضوع لهذا الإله، الذي صنع تلك الصنعة البديعة التي لا يمكن لمخلوق أن يصل إليها، ولقد تحدى الله ـ سبحانه وتعالى ـ الآلهة المزعومة، فقال: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله﴾ أي من الآلهة التي تعتقدون نفعها ﴿لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له﴾ (٦) أي: تعاونوا عليه، وهذا التحدي قائم إلى يوم القيامة.

والله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق المخلوقات، ثم خلق لها خلقها، خلق الأنف وقال له: عليك التنفس، وخلق النظر، وقال له: عليك الإبصار، وخلق السمع وقال: عليك أن تسمع، وأنت يا لسان: عليك أن تنطق، وأنتِ يا رجل: عليك المشي، وأنتِ أيتها اليد عليك أن تبطشي، فأعطى ـ سبحانه وتعالى ـ كل شيء خلقه ظاهرا وباطنا، أي وظيفته التي خلق من أجلها، فالملك هو الله، هو الملك الحق، وهو الخالق الرازق.

(١) النحل: ١٧.
(٢) الذاريات: ٢١.
(٣) الرعد: ٢
(٤) يس: ٣٨.
(٥) يس: ٣٩.
(٦) الحج: ٧٣.

ونحن نرى بعض الحكومات تهتم بأرزاق الناس، ويقولون: من أين يأكل الناس؟ فيقال لهؤلاء: وقبل مجيئهم كيف كان الناس يأكلون؟ إذن فلسنا مدبرين، ولسنا بخالقين، ولسنا برازقين، إنما كل ذلك لله ـ تعالى ـ ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ (١)، فالمقادير الإلهية تقول لك: خل عنك أمورك، وسلم إلى الأمر، فأنا أولى بك منك، وأنت يا ابن آدم: لم تقل لربك: اجعل لي أذنا أو لسانا، بل خلق كل شيء بدون سؤال، فكل شيء من الرحمة الزائدة، فالمرأة عندما تكبر وتتعب من الحمل يمنعه الله عنها، فمن يعطي امرأته دواء لمنع الحمل فهو يعدل عليه ـ سبحانه ـ ولن يقدر، فهو لا يسأل عما يفعل.

حكاية:

كان الشيخ يوسف الدجوي ـ رحمه الله تعالى ـ يقرأ الدرس في الأزهر من بعد صلاة الفجر إلى الساعة السابعة والنصف، وكنا نحضر عليه، وبعد انتهاء الدرس نخرج من الأزهر، ونذهب إلى مسجد الإمام الحسين فنجد الشيخ محمد السمالوطي جالسا يدرس، فنجلس عنده حتى الثامنة، وبعد انتهاء درسه نعود مرة أخرى إلى الأزهر، حيث نبدأ دروس الفقه، وفي فترة الاجازة كنا نحضر دائما عند الشيخ السمالوطي في مسجد الإمام الحسين، ولقد أعد الشيخ السمالوطي رسالة في «علم التوحيد» في تفسير قوله تعالى: ﴿لا يسأل عما يفعل﴾ (٢)، فقال في تفسيرها:

«إن الله ـ تعالى ـ حكيم، إذا فعل فعل لحكمة، والحكيم هو الذي يفعل الأشياء محكمة ولحكمة، فهو لا يسأل: لماذا فعلت كذا، إنما يسأل الجاهل: لماذا فعلت كذا، وقد نتج عن فعلك كذا وكذا.

أما الحق ـ تبارك وتعالى ـ فهو يعلم حقائق المخلوقات وعواقبها، فإذا فعل فعل عن علم وخبرة بعواقب الأمور، وأما ما سواه فإنهم يفعلون وهم لا يعلمون حقيقة ما يعملون، فيقعون في الخطأ، ولذا قال الله تعالى: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ (٣).

(١) السجدة: ٥.
(٢) الأنبياء: ٢٣.
(٣) الأنبياء: ٢٣.

يعنى: لاتقل: لم خلق الأسود أسود، ولا كيف خلق الله العصفور من غير يدين، وكيف يعيش ويبنى له عشا، وكيف يكون له أولاد، فانظر للعصفور تر العجب، فهو يستعمل منقاره بمهارة تفوق أيدى الكثيرين من البشر:

وفى كل شىء له آية ❊ تدل على أنه الواحد

فالعصفور يعرف خالقه ويسبحه، فأنت ترى العصافير بالليل متجمعة على الشجر، يذكرن الله ـ تعالى ـ ويسبحنه، قال تعالى: ﴿والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾ (١).

وابن آدم النائم فى فراشه لا يساوى عصفورا يسبح الله تعالى.

﴿وجعلنا الليل لباسا. وجعلنا النهار معاشا﴾ (٢).

لو استيقظ الإنسان فى الثلث الأخير من الليل، وتوضأ وصلى ركعتين ـ والناس كلهم نائمون ـ ثم جلس يذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ فهو يصبح ذاكرا الله ـ تعالى ـ مثل العصافير، أما الذى نام حتى طلعت عليه الشمس فهو لا يساوى عصفورا.

وقد جعل الله ـ تعالى ـ أوقاتا محدودة للعبادة، فأول الليل يرينا الله ـ تعالى ـ معجزة هى غروب الشمس وذهاب النهار وإقبال الليل، فالله ـ تعالى ـ ينادى عباده ليشهدوا هذه المعجزة، ويقول: هلموا إلى صلاة المغرب، حتى تنظروا قدرته، وحتى لا تغفلوا أثناء أخذه الشمس، ثم تأتى صلاة العشاء، وبعد الصلاة يأتى النوم مبكرا، لتستيقظوا لصلاة الفجر، وتروا النور، وتعرفوا ماذا يريد ربكم منكم، إنه يريد منكم أداء الصلاة فى وقتها.

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلى الصبح ويجلس متربعا فى المسجد، فلا يخرج منه، حتى ترتفع الشمس ويصلى ركعتى الضحى، ثم يذهب إلى البيت، وكان فى جلوسه مستقبلا النهار يدعو ويقول: «اللهم إنى أعوذ بك من النار» ويكررها حتى تشرق الشمس، وهو جالس فى يقظة وعبادة، وأنا أوصيكم بهذا الدعاء: «اللهم فرج المظلومين

(١) النور: ٤١. (٢) النبأ: ١٠، ١١

بانتقامك من الظالمين» اللهم آمين.

قال الشيخ أبو حامد الغزالى:

أسباب المحبة النعم، والمحبة تنمو فى القلوب من الصغر، ولن تجد منعما أنعم علينا بمثل ما أنعم الله به علينا، فالذى يحب ربه يحب أن يجالسه، مثلما يفعل المحب مع حبيبه، ولذلك فرض الله ـ تعالى ـ الصلوات الخمس التى يناجى الحبيب فيها حبيبه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وأقم الصلاة لذكرى﴾ (١).

ولكن أنت مشغول بالدنيا وتحب تجارتك وأولادك وزوجتك، فاعلم أن الله ـ تعالى ـ يريد منك وقتا له تناجيه فيه.

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «إن المصلى يناجى ربه» رواه الإمام أحمد فى المسند.

فهو يرفع يديه وكأنه يقول: الدنيا كلها ورائى، وأنت يا رب أمامى: الله أكبر، فأنت يا رب أكبر عندى وأحب إلى من كل شىء سواك، ولقد تركت كل شىء وجئت لأقف بين يديك، وهذا لك وحدك لا شريك لك، وأنا أريد أن أخصك بالكلام والذكر والعبادة، وأنا حينما اسجد سجوداً أهمس لك فيه بما أريد.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ من حديث طويل: «الاحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» رواه الشيخان.

قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى:

سألت شيخى على الخواص: الإنسان إذا وقف فى الصلاة: هل يرى بقلبه أنه يرى الله ـ تعالى ـ أم أن الله ـ تعالى ـ يراه؟ فقال: حينما يشاهد المصلى بقلبه أنه يرى الله ـ تعالى ـ فهو بذلك يتخيل أن له ـ سبحانه وتعالى ـ مكانا وجهة، تعالى الله عن ذلك، أما إذا رأى أن الله ـ تعالى ـ محيط به، فلا مكان، ولا جهة له ـ سبحانه وتعالى ـ فهذا هو الأفضل.

---

(١) طه: ١٤.

وأفضل شيء تعمله في الصلاة أن تعترف بأنك مذنب مقصر، ولسان حالك يقول: رب إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

معنى الاستغفار:

إذا أسأت إلى أحد، فأتيته فقلت له: سامحني لقد أخطأت في حقك، وأنت لا تستحق أن يعمل معك هذا العمل، وأنت يا رب لا يجوز أن نغضبك، فهذا من ظلمنا أنفسنا وجهلنا بك، وأنت إذا اعتذرت لابن آدم فهو يرق لك، فكيف بأرحم الراحمين ؟!

سأل الصحابة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: بم ندعو في صلاتنا؟ فقال: «سلوا الله الرحمة والمغفرة».

فهو عندما يغفر يمحو الذنوب، وعندما يرحم يعطي الثواب، اللهم لا تحرمنا مغفرتك، ولا تمنع عنا رحمتك.. آمين.

والذنوب قسمان: قسم يتعلق بحق من حقوق الله، فمثلا: أخرت الصلاة أو تركتها، أو شربت الخمر فأنت تقول: استغفر الله، سامحني يا رب، فأنا قصرت في حقك.

وقسم مشترك: فيه جانب يتعلق بحقوق بني آدم، وجانب يتعلق بالله، فمثلا: إذا ضربت أحدا ظلما، فلابد أن تستسمحه، لأن الله ـ تعالى ـ نهى عن الظلم، وحرمه على نفسه وعلى عباده، وأيضا حرم العدوان، فلا بد أن تقول لمن ضربته: سامحني، ثم بعد ذلك تستغفر الله من ذلك الذنب، فإذا ذهبت إلى الحج ووقفت على عرفات تذكرت قول النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «من حج فلم يرفث(لم يجامع زوجته وهو محرم) ولم يفسق (لم يزن) خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» رواه البخاري. ولكن: أين حقوق الناس ؟

لقد ضرب هذا وشتم هذا، فكيف العمل؟ قال العلماء: ينوي الحاج أن يستسمح من أخطأ في حقهم بعد عودته، أما من لهم حقوق عنده، فلا بد أن يعطيهم حقوقهم، فإن فعل الحاج ذلك فقد برئت ذمته، ولو مات يغفر الله له بنيته، ولكن يستحب للحاج قبل السفر أن يتحلل من حقوق الناس عليه، فيقول: يا فلان.. سامحني، ويا فلان.. سامحني، ويا فلان..

خذ نقودك هذه. أما إذا كان قد زنى بامرأة رجل - والعياذ بالله تعالى - وأراد يستسمحه، فإن ذلك لا يجدى نفعا، بل ربما اعتدى عليه زوجها فقتله !!

إذن فالاستسماح فى هذه الحالة معناه الموت، ولكن قال العلماء: لا يذهب إليه فى هذه الحالة، بل يستغفر الله تعالى ويتوب إليه.

روى ابن ماجه فى سننه أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «إياكم والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنا، فإن الرجل قد يزنى ويتوب، فيتوب الله - تعالى - عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه».

وقد اختلف علماء المالكية والشافعية فى طريقة التسامح، فقال الشافعية: لابد أن يقول المغتاب لمن اغتابه: أنا قلت فى حقك كذا وكذا، بالتفصيل، فسامحنى.

أما المالكية فقالوا: يكفى التسامح مع الجهل - أى عدم ذكر ما قاله بالتفصيل - فيقول المغتاب لمن اغتابه: تعال حتى يسامح بعضنا بعضا لله تعالى.

ورأى المالكية هو الراجح، لأن الكلام القبيح يزداد قبحا، كلما كرر، ويضر بقائله.

قصص:

سرق رجل جلبابا وأراد أن يتوب، فذهب إلى الملك فقال له الملك: أنت تريد أن تتوب والجلباب يقول أنا مسروق ! وصاحبى فلان ! اذهب وادفع ثمنه إلى صاحبه، ثم تب بعد ذلك. ولابد فى التوبة من القلب السليم (المتعلق بالله).

يحكى أن: سيدنا موسى - عليه السلام - مر على رجل وهو يدعو الله - تعالى - على جبل فقال: يا رب إن عبدك هذا يدعوك منذ زمن! فأوحى الله إليه: يا موسى إنى سمعته ولكنه يدعونى وقلبه مع غنمه - أى يدعو بلسانه وقلبه مع الغنم.

ويحكى أن جماعة كانوا يدعون ولم يستجب الله لهم فقال سيدنا موسى: يا رب إن هؤلاء الناس يدعونك! فقال: يا موسى إن فيهم رجلا مغتابا، فقال موسى: من هو يا رب حتى نعرفه؟ فقال تعالى: كيف أنهى عن الغيبة وأكون مغتابا ؟!

وقال الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : «من ستر مسلما ستره الله» رواه البخارى ومسلم.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لاتغتابوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته» رواه أبو داوود.

ولقد نهى الله ـ تعالى ـ عن التجسس والتحسس على الناس، والإنسان قد يأتى الذنب، ويستره الله، ويصبح فيحدث الناس بما فعل، فيكون قد بات يستره الله، فيصبح وقد كشف ستر الله عنه.

سبحان الله الحنان المنان ...

أما الجدال فى الحج فهو الكلام الذى يؤدى إلى عداوة وبغضاء، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «أعظم الناس ذنبا من وقف يعرفة فظن أن الله لم يغفر له» رواه الديلمى.

سؤال: هل تصل الفاتحة إلى الميت؟

الإجابة: الأموات فى برزخهم عند ربهم، أرواحهم حية وموجودة، فينتظرون الساعة، وكل شىء يوهب لهم من الأعمال من عامة المسلمين أو خاصتهم يصل إليهم، فعندما تقرأ الفاتحة لأموات المسلمين، فإن الله ـ تعالى ـ بقدرته يوصل لكل ميت ثواب فاتحته.

وإذا حج رجل عن أبيه ثم وهب له ثواب الحج فإنه يصل إليه، وكذا إذا صنع طعاما فإن ثوابه يصل إليه، وكذلك إذا سقى ماء .. حتى لو صنع طعاما فأكلت منه الحيوانات، فإن ثوابه يصل إليه، وكذلك إذا قرأ القرآن، فإن ثوابه يصل إليه، ويجوز للرجل أن يتنفل عن والده بالصلاة، أما الفرض فلا، وكذلك الحكم فى الطواف أيضا.

حكاية: رأيت رجلا صالحا فى رؤيا حسنة فى الليلة التى سبقت هذه الليلة [أى ليلة القاء هذا الدرس] فقد اجتمعت برجل صالح وقلت له: ادع الله لى فقال: الله يهدينا، فوقع فى قلبى أن هذه الدعوة قليلة، فألهمنى الله ـ تعالى ـ أن الفاتحة أفضل سورة فى القرآن، وهى دعاء،

وقد جاء فيها «اهدنا»، فاللهم اهدنا لما تحبه وترضاه، فالهداية أفضل الدعاء.

سؤال: هل يعانق أحد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى الجنة، مع ماله من نور؟

الإجابة: نعم، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾ (١).

أما عن رؤية الله ـ تعالى ـ فقد قال النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «ترون ربكم يوم القيامة لاتضامون فى رؤيته» رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

أى لاتزاحمون، فتتمتعون بالرؤية فى غير مزاحمة.

حكـــاية:

رأيت فى المنام عالما من الأموات ممدودا على سريره، وبجواره ما يشبه الممرض فى زيه الأبيض فقلت له: بلغنى عنك أنك كنت بليغا فصيح اللسان وأريد أن أسمع بلاغتك، فأشار إلى بما فهمت منه أنه جائع ولا يقدر على الكلام، فجلست على سجادة بجواره وقرأت له الفاتحة، فعندما قلت: (آمين) نزل من السقف ما يشبه الريال الفضى، فتناوله الرجل الذى يقف بجواره، ثم بعد ذلك تربع العالم وجلس وقال: هات طعاما، فقلت له: أويصل القرآن إليكم بهذه السرعة؟ فقال: نعم، ولكن ليس بهذه السرعة التى وصل بها ثواب الفاتحة.

يعنى أن الفاتحة تسبق فى الوصول غيرها من السور، ثم اعتدل وقال: وأنتم تنتفعون بها ولكن لاتشعرون.

ما ضر شمس الضحى فى الأفق طالعة

ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

سؤال: هل تقرأ الفاتحة لحضرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الذى غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

---

(١) الشورى: ٢٢.

الإجابة: قال المالكية: لا تقرأ، وقال الشافعية: تقرأ، فنحن نقرؤها على مذهبهم.

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾[1].

صلاة الملائكة مثل صلاتنا، يقولون: اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه. أما صلاة رب العزة: فهي عطاء يمنح له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من لدن الحكيم العليم.

حكم من صلى على نجاسة أو جنبا:

المالكية قالوا: من صلى على نجاسة ناسيا وخرج الوقت فلا إعادة عليه، أما إذا بقي الوقت فيستحب له الإعادة، أما من صلى وعليه جنابة فإنه لابد له أن يعيد الصلاة، لأن النجاسة تزال بالذكرة والقدرة.

سؤال: ما حكم الجنب الذي لا يجد ماء ـ كان يكون في جبل أو ضاق عليه الوقت بحيث لا يسع إلا الصلاة؟

الإجابة: الجنب الذي لا يجد ماء يتيمم ويصلي، وصلاته صحيحة، فالتيمم يبيح الصلاة، ولكنه لا يرفع الحدث، ففي أي وقت يجد ماء لابد له من الاغتسال لرفع الجنابة.

وكذلك إذا ضاق الوقت على من عليه جنابة، كأن يبقى على شروق الشمس عشر دقائق ـ يعني مقدار ما يصلي فقط، ولو اغتسل لخرج الوقت، فيجوز له أن يتيمم ويصلي الفرض فقط، ولا يعيد صلاته، وبعد طلوع الشمس يغتسل من الجنابة ويصلي ركعتي الفجر.

سؤال: ما حكم رجل أعطى رجلا مائة جنيه مثلا، وقال له: تاجربها مع مالك، ولي كل عام خمسة جنيهات وليس لي شيء إذا زاد الربح، ولا على شيء إذا خسرت التجارة؟

الإجابة: هذا حرام ولا يجوز شرعا، لأنه قرض جر نفعا، فيكون من باب الربا.. أما الربح الحلال، فهو أن يعطيه مالا يتاجر فيه، على أن يتقاسما الربح، ويتحملا الخسارة معا، مهما

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

بلغ حجمها، وهذا يسمى عند الفقهاء: القراض.

مسألة: حكم إمامة المرأة:

المرأة لاتصلى إماما، لابالرجال، ولابالنساء، هذا رأى المالكية، ويجوز عند الشافعية أن تصلى بنساء مثلها.

صلاة السيدة نفيسة على جنازة الإمام الشافعى:

يقال إن السيدة نفيسة ـ رضى الله تعالى عنها ـ صلت على الإمام الشافعى ـ رضى الله تعالى عنه ـ فلما سألوها عن ذلك قالت:

«كان جدى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يصلى، وكنت أصلى بصلاته».

* * *

الـــدرس الثالث

فى تفسير قوله تعالى:

﴿يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ (١).

قال المفسرون: الشاهد لايكون غائبا، و«شاهدا» يعنى: من المشاهدة، فمن يشهد يقول: رأيت وسمعت كذا وكذا، والله ـ تعالى ـ وصف النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأنه شاهد قال تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ (٢). يعنى شهيدا على الأمة كلها.

فكيف يشهد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو غائب؟ فأنت عندما تصلى صلاتك فإن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يشهد لك يوم القيامة بأنك صليت.

وقولك: السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أى السلام عليك أيها النبى الناظر السامع الحاضر.

تسلم سلام الحاضر المخاطب، وأنت لاتراه، ولكنه يراك.

وهو ـ صلى الله عليه وآله سلم ـ شاهد على الأمة كلها فى كل مكان، وبأى لغة تكلمت بها فقد علمه الله ـ تعالى ـ جميع اللغات، علمه منطق الطير وهديل الحمام ورغاء الإبل.

وبحر العلم واسع، قال سيدى عمر بن الفارض ـ رضى الله تعالى عنه ـ:

وتيهتمونى فى بديع جمالكم * ولم أدر فى بحر الهوى أين موضعى

وقال:

وإذا سألتك أن أراك حقيقة * فاسمح ولاتجعل جوابى لن ترى

---

(١) الأحزاب: ٤٥. (٢) النساء: ٤١.

لما كشف الله تعالى الحجاب لسيدى عمر، نظر فرأى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال:

وأباح طرفى نظرة أملتها * فغدوت معروفا وكنت منكرا

والمعنى: إنى كنت لا أعرف هل أقدر على تحمل الجلال والرؤية أم لا، فسألت الله ـ تعالى ـ كشف الحجاب فرأيت النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ:

فدهشت بين جماله وجلاله * وغدا لسان الحال عنى مخبرا

تجلى ولم يظهر، فالظهور من صفة الحوادث، ولذلك قال الله تعالى: ﴿فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا﴾ (١).

كيف تجلى؟ وهو مقام لا يدريه إلا من تحقق به؟

قال ابن الفارض:

فدهشت بين جماله وجلاله * وغدا لسان الحال عنى مخبرا

يعنى: كشف لى الحجاب على قدر استطاعتى، ولست كأبى بكر وعمر ....

فالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ شاهد على الأمة، أى على صلاتهم وحجهم وذكرهم، إذن: فأين هو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ؟ أجل، هذا مثل، لو كان لديك عقل لعقلته به:

النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كالشمس وهى واحدة ولكنها تعم الدنيا ويراها كل إنسان، والنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يفوق الشمس بملايين المرات فى هذا الكون، فسبحان من خلق فسوى، كما خلق الشمس لتستنير بها الدنيا، خلق النور المحمدى لتستنير به العقول والقلوب والأرواح.

فكل قلب فيه إيمان فتح نافذة على الشمس، وعلى العكس، فالقلب الخالى من

(١) الأعراف: ١٤٣.

الإيمان، يكون قد قفل النافذة، ودخل فى الظلمة، مثل الكفار واليهود والنصارى، كل واحد منهم دخل حجرة وقفل على نفسه فحجب وحرم.

فنور النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو الإيمان، وإذا غابت شمسه أتى الكفر ـ والعياذ بالله ـ وكل إنسان يدرك من أنواره مع كماله العقلى، على حسب إيمانه.

فعليك ـ فقط ـ أن تصلى عليه كثيرا، وهو يأتى إليك ويسلم عليك قائلا: السلام عليكم، ولسانه حاله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: أنا أعرفك جيدا، ولأجل محبتك جئت إليك، ولم أرسل لك ملكا، ولا أحدا من صحابتى، وإنما جئتك بنفسى، لأعلمك أننى أعرف أمتى فى كل مكان.

وقال سيدى أحمد البدوى ـ رضى الله تعالى عنه ـ:

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد شجرة الأصل النورانية.

ويقول فخر الدين الرازى:

أنت الذى من نورك البدر اكتسى * والشمس مشرقة بنور بهاكا
أنت الذى لولاك ما خلق امرؤ * كلا ولا خلق الورى لولاكا

والعلم هو معرفة الله ـ تعالى ـ ومعرفة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما ينبغى.

ولو ملأ أحد طباق الأرض علما، ثم قال: لا أتوسل بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فإنه يكون جاهلا، وسيدنا جبريل واسطة بين النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبين ربه، وهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ واسطة بين الأمة وبين جبريل، إذن فهو واسطة بيننا وبين الله ـ تعالى ـ.

قال تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ (١)، فبيعتك للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كأنها بيعة لله تعالى.

وقال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (٢)، وقال سبحانه: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا

(١) الفتح: ١٠. (٢) النساء: ٨٠.

أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾ (١).

فرب العزة يقول: «جاءوك» ولم يقل: وأنت حي، أو بعد موتك، فالله ـ تعالى ـ لم يخصص، إذن فالآية عامة، فالتوسل به ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ جائز في حياته وبعد موته.

وأحاديث السلام واردة عن المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكلها عن رده ـ صلى الله عليه وسلم ـ السلام، وهذه الأحاديث لا تعني رد السلام فقط، بل تعني الكلام أيضا.

«فاستغفروا الله»، أي يقول الواحد منهم: إغفر لي يا رب، إكراما لهذا النبي، فيقول المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: اللهم اغفر له.

ما من مسلم يسلم عليه ـ صلى الله عليه وآله سلم ـ إلا وجده حيا، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»، وهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سيدهم، فهل هم أحياء وهو ميت؟ وهذا الحديث رواه البيهقي.

يقول الله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ (٢). علماء نجد قالوا: «يصلون» فعل مضارع يفيد التجدد للحدث إلى الأبد، فلم يفرق بين الحياة وبين الموت، والنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا خرج من الدنيا ترقى وأخذ العلوم، وعرضت عليه أعمال جميع الأمة فإن كان ما يراه خيرا حمد الله، وإن كان غير ذلك استغفر الله للأمة.

وهذا الكلام لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

«لا إله إلا الله محمد رسول الله» من نطق بها أسلم وبايع النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويكون كأنه بايع الله ـ تعالى ـ إلى يوم القيامة.

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من

(١) النساء: ٦٤.

(٢) الأحزاب: ٥٦.

ولده ووالده والناس أجمعين».

لم يقل: في حياتي، وإنما المراد: في حياتي، وبعد مماتي، وإلى يوم القيامة، فمحبتي واجبة على كل مؤمن، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «لا يؤمن أحدكم حتى تكون ذاتي أحب إليه من ذاته، وعترتي أحب إليه من عترته».

فالمحبة عامة في كل زمان ومكان، كما كان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الحياة الدنيا، ولما كان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الدنيا كان في المدينة، والآن هو ينظر إلى العالم كله، ومن ينظر إليه نظرة العارفين يجده أمامه، يقول سيدي أبو العباس المرسي:

«لو غاب عني رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين».

والله ـ تعالى ـ قد أعطى لمحبيه خواص لا تتأتى لغيرهم، فلو ناديت صاحب الوقت فإنه يرد عليك، كما قال بذلك الجلال السيوطي في كتاب: «تنوير الحلك في جواز رؤية النبي والملك».

وقد كنت جالسا في رواق المغاربة وكنت أعمل قصيدة أحاكي فيها سيدي عبد السلام الأسمر الغوث، فغلبني النعاس، فرأيت نفسي قد دخلت مكانا به مكتب كبير، يجلس عليه رجل أبيض اللون، يلبس طربوشا مغربيا ثم أمسك التليفون وقال: يا شيخ يا ابن إدريس: امنع مريدك عن فتني !! فاستيقظت من نومي وأنا أقول : ـ رضي الله عنك ـ يا سيدي أعظم الرضوان. وتعجبت ! أنا في الرواق، وهو في طرابلس فما الذي ذهب بي إلى مكتبه هناك؟! فآمنوا بالله أيها الناس.

الشيخ محمد الأمير يقول: لو كشف الله للناس عن أسرار أصغر ولي، لطارت عقولهم، فكيف بالنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ؟ والمدار في ذلك على العقيدة والإيمان، وهذا كله من الله تعالى.

أدلة الكرامة من الكتاب والسنة:

قال الله تعالى: ﴿قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ (١)، فأحضر العرش وفيه ثمانون غرفة ذهبا، «فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى».

وهذه الكرامات يعطيها الله ـ تعالى ـ لمن يشاء، ومنكرها منكر على الله ـ تعالى ـ لأنها من عنده ـ سبحانه وتعالى ـ ويقول أبو مدين ـ رضى الله تعالى عنه:

من ذاق طعم شراب القوم يدريه * ومن دراه غدا بالروح يشريه

لله فى الكون أسرار ترى فيه

ومعجزات النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تقول: صدقوا النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى كل ما يبلغ عن ربه، والدليل: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ (٢).

وكرامة الولى تقول: سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نبى حقا صادق حقا، لأننا اتبعناه، فظهرت لنا الكرامات، ولو لم يكن صادقا مصدوقا لما ظهرت كرامة لمن اتبعه، والكرامات تصدق المعجزات، والمعجزات تصدق النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى بلاغه للناس، فاعرفوا هذا وافهموه.

قال تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره﴾ (٣)، والآيات: القرآن، والعلماء، والأولياء، والخوض: الكلام من غير تعقل ولا تمعن، فالإنسان عندما يخوض فى الماء، فإنه يمشى فيه برجليه، وكذلك الخائض فى الكلام، كأنه يتكلم برجليه !!

ونحن نزور الحسين ـ رضى الله عنه ـ وكل ما يأتى منه هو من جده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ القائل: «حسين منى وأنا من حسين».

---

(١) النمل: ٤٠. (٢) القمر: ١.
(٣) الأنعام: ٦٨.

فهو ليس ملكا ولا سلطانا ولا أميرا ولا ذا بطش، وليس عنده حرس، وإنما جاء الناس إليه أفواجا من أجل جده ـ صلى الله عليه وآله وسلم.

وعندما ولد الحسين ـ رضى الله عنه ـ دخل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على على وفاطمة، وقال: «ما سميتم ابنى»؟ قال على: سميته حربا، قال النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «لابل هو حسين».

فهذا هو الحسين: سماه جده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقال: «ابنى»!

وأنت يا من تدعى أنك مثله: اعلم الآتى:

أولا: العبادة لاتوصل الإنسان إلى درجة بيت النبوة.

ثانيا: لم يقل أحد إن العبادة توصل الإنسان إلى أن يكون صحابيا.

ثالثا: عن جابر بن عبد الله قال: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن على». فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوله. رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

رابعا: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» رواه الترمذى.

فهل توصل العبادة أحدا إلى أن يبشر بالجنة الآن؟ ومن ذا الذى سوف يبشره ؟!

خامسا: كان الحسين ـ رضى الله تعالى عنه ـ عالما، قرأنا فى الكتب أن معاوية أوصى أهل الشام قائلا: «إذا دخلتم المدينة، ودخلتم مسجد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورأيتم حلقة كبيرة، فيها رجل يدرس فهو الحسين بن على»، فهل ستكون مثله أيها الدعى؟ بالطبع لا، إذن فأنت إذا قلت إنك مثله أو ستكون مثله، فأنا أقول لك: قال الله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ (١).

أما سمعت يا من لاتحيه، أما سمعت قول جده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «لا يؤمن

(١) الكهف: ١٥.

أحدكم حتى تكون ذاتي أحب إليه من ذاته وعترتي أحب إليه من عترته»؟ إنك أنكرت المذاهب الأربعة، وقلت: لا يوجد شافعية ولا مالكية، والآن تريد أن تصبح مثل ابن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ؟!

وهل يوجد غير اثنين: الحسن والحسين؟!

فهذا القول منك افتراء وكذب وزور واساءة أدب.

أما حديث: «أنا جد كل تقي» فهذا موضوع يدور على ألسنة العوام، وقد غرهم الشيطان وهم يقولون: النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال هذا، فأنا مثل أهل البيت وجدي المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أما الحديث الصحيح، فهو قول النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «آل محمد كل تقي» رواه الديلمي في مسند الفردوس.

وأهل البيت جميعا أتقياء، فلا ينتسب إليهم غير تقي، والنسب يحتاج إلى عمل يزيده ويظهره، ولذلك كان أهل العلم بلغاء فصحاء منتسبين أولياء، ومن يريد معرفة فضل آل البيت، فعليه بكتاب «نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار»، وضعه عالم أزهري من أفاضل العلماء، وهو في مكتبة الحلبي.

والنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قد حافظ الله ـ تعالى ـ له على نسبه من آدم ـ عليه السلام ـ إلى والده عبد الله، بزواج وعقد، ولم يكن في أجداده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أحد لم يتزوج بعقد، كل منهم كان الإيمان في قلبه، ولم يكن بين أجداده كافر، وقد اعترض بعضهم وقال: إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان أبوه كافرا، والرد عليهم أن أباه كان مسلما، واسمه تارخ، أما الذي تحدثت عنه الآيات فهو عمه، وكتب السيرة تقول: إن سيدنا إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل بجوار البيت المحرم، وتحدث بذلك القرآن، قال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ (١). فكيف يستغفر إبراهيم لأبيه وهو كافر.

(١) إبراهيم: ٣٥ ـ ٤١.

وعبد المطلب جد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان وجهه كالقمر، وكانت له هيبة جميلة، ثم انتقل ذلك إلى عبد الله، وقد دعته امرأة إلى نفسها فأبى ولم يستجب لها:

أما الحرام فالممات دونه * يحمى الفتى عرضه ودينه

وعبد المطلب قال:

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

ولم يدع اللات والعزى.

وتزوج عبد الله آمنة، فلما حملت بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ جاءها النور، فكان يضىء لها ظلام الليل، وكانت ترى من يبشرها، وفى ليلة مولد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كانت معها الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف، فرأت النور، وقد عم البيت، وقد نزلت الملائكة ورأت العجائب، ورأت امرأتين طويلتين، هما: مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون، ويقال: (زوجتان حضرتا ولادة زوجهما)، وهما مريم وآسية، فهما زوجتان للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى الجنة.

ولما خرج النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى الدنيا، ظهر نور ملأ الكون، ثم عطس وقال: الحمد لله، فشمته الملائكة وتكلم فى المهد، وسمعت «الشفاء» هذا الكلام، ثم طافت به الملائكة جميع أرجاء الأرض، ويقال: كل مكان ذهب إليه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ جعل الله فيه أناسا من أمته، وتباشرت بقدومه الجن ودواب البحار:

والجن تهتف والأنوار ساطعة * والحق يظهر من معنى ومن كلم

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ أظهره فى عالم الدنيا نورا، قالوا: كيف يكون النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نورا وهو من نطفة؟ ونقول لهؤلاء: من الذى خلق؟ هو الله، وهل هناك شىء يعيد عن قدرة الله؟ كلا.

فهذه النطفة حولها الله نورا وقال لها: كونى محمدا، ثم صوره منها، فالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قد صوره الله من نور.

الكفار قالوا: لماذا لم يرسل الله ملكا؟

والرد: لو جعلناه ملكا لما تحملتموه ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا﴾ (١).

فتحتم أن نجعله إنسانا، ونور النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يفوق نور الملائكة، ونجعله بشرا حتى تجلسوا معه وتكلموه، فقد أرسلت لكم من هو أفضل منكم وأعلى وأجمل من جميع ما خلقت.

وانظر إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فتمثل لها بشرا سويا﴾ (٢)، «تمثل» لتراه بعينها، و«بشرا» أي إنسانا ظاهرا تراه العين، ومن هذا سمي الجلد بشرة لظهوره، ﴿إنما أنا بشر مثلكم﴾ (٣)، أي ظاهر أرى لكم كما يرى بعضكم بعضا، فالوصف إنما هو للرؤية، لا أنه كالبشر في سائر صفاته، وليس معنى أننا بشر أننا مثل الرسل، قال البوصيري رضي الله تعالى عنه:

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته ❊ قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

وكان الصحابة على كثرتهم يرونه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كل على حسب إيمانه ومحبته، فيرى من أنواره حسب الإيمان، ويشم من أعطاره حسب تفاوت درجة المحبة، وعلى قدر الرؤية تكون المحبة.

أسماء بنت عميس: زوجة جعفر الطيار، أنجب منها سيدنا عبد الله بن جعفر، الذي تزوج السيدة زينب ـ رضي الله عنها ـ وهو ابن عمها، أسماء هذه لما مات سيدنا جعفر ـ رضي الله عنه ـ شهيدا في «مؤتة»، تزوجها من بعده سيدنا أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ فولدت له «محمدا»، فأمه هي أسماء بنت عميس الخثعمية، فلما مات الصديق ـ رضي الله عنه ـ تزوجها سيدنا علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه وكرم الله وجهه ـ فقيل له في ذلك، فقال: ما تزوجتها لأجل متعة، إنما تزوجتها لأسمع منها ما كان يفعله الصديق ـ رضي الله عنه ـ وقد سألتها: ماذا كان يفعل أبو بكر إذا دخل البيت؟ قالت: كان إذا فرغ من صلاة العشاء، جمع

(١) الأنعام: ٩.
(٢) مريم: ١٧.
(٣) الكهف: ١١٠.

رجليه، ووضع وجهه بين ركبتيه، واتجه للحائط وأخذ يقول: واشوقي إليك يا رسول الله، فأقول له: كنت معه وغدا تكون معه، ولا أزال أحدثه حتى يفتح عينيه وينظر إلي، فهل منكم من يفعل ذلك؟ قالوا: لا، قال: لذلك تزوجتها.

وإذا أحببت النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فإنه يحبك، ويعلمك أنه يعرف محبتك له.

وجميع أولياء الله الصالحين أحياء ومتنقلون، فإذا أحببت أحدا منهم عرف ذلك.

البوصيري رحمه الله: مرض بالفالج، ولكنه لم ييأس من رحمة الله وقدرته، فهو الذي يعيد الإنسان حيا بعد موته، فكيف لا يعيده سليما معافى؟ ففكر ماذا يصنع، ثم اتجه إلى الله ـ تعالى ـ بأحب الناس إليه، فأخذ في نظم قصيدة في مدح النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وجعل المدح واسطة إليه، فبدأ يقول:

الحمد لله منشي الخلق من عدم * ثم الصلاة على المختار من قدم

إلى أن وصل إلى قوله: فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وعجز عن إكمال البيت، فجاءه النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وعليه بردته الشريفة، فوضعها عليه، ثم قال له: قل: وأنه خير خلق الله كلهم، فقام البوصيري ـ رحمه الله ـ سليما معافى.

وقد رأى أحد الصالحين أنه يزور النبي ـ صلى الله عليه وآله وآله وسلم ـ وهو ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ واقف، ورأى رجلا يمدح والنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فرح مسرور، فسأل: ما هذه القصيدة؟ فقال له: هذه قصيدة البوصيري. وفي الصباح ذهب ذلك الرجل، وكان قاضيا، إلى البوصيري وسأله: أين القصيدة التي أنشدتها في مدح النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ؟ فقال له: من أخبرك بها؟ قال: سمعتها تنشد بين يدي صاحبها، ورأيته فرحا مسرورا بها، فأملاها البوصيري عليه.

وما مدح خير البرية، بمثل البردة والهمزية.

والنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تربى بمكة بعناية الله ﴿فإنك بأعيننا﴾ (1)، وتربى خير

(1) الطور: ٤٨.

تربية «أدبنى ربى فأحسن تأديبى» وأرسل - سبحانه وتعالى - الملائكة لشق صدره الشريف، ليتلقى عهد الطفولة وهو فى أسعد حال، وشق صدره فى الشباب، ثم فى الأربعين، ثم ليلة الاسراء.

وكان - صلى الله عليه وآله وسلم - إذا وقف فى النور لا يظهر له ظل، لأنه نور، والنور لا ظل له.

وإذا ظهر لك ملك فإنه من نور ولا ظل له.

دعيت مرة إلى وليمة عند جماعة، ثم نمت بعد الظهر، فرأيت أننى دخلت قبة الإمام الحسين، وإذا زحام شديد حولها، ثم دخل النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - ثم مر بجوار الرأس الشريف من ناحية اليمين، فجاء مروره عن شمالى، فقلت: ما هذا؟ قالوا: النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - يقبل رأس الحسين، فقمت من النوم وقلت: كفى، بعد اليوم لا ولائم ولا دعوات، ولا أذهب عند أحد، ولا أبعد عن خلوتى، كيف يكون النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - فى القبة الشريفة، وأنا بعيد عنه من أجل أكلة عند فلان، فربما أكون هناك ثم يأتى النبى - صلى الله عليه وآله وسلم -.

وذات يوم حضر جماعة، وكان معهم (فسيخ وبصل)، فتغديت معهم، ثم ذهبت لزيارة الحسين، ووقفت فى الصف الأول أمام المقصورة، ثم غلبنى النوم، فرأيت النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول لى: أتأكل مثل هذا وتأتى عند الحسين؟ فقلت: من اليوم لن آكل بصلا أو فسيخا، وإذا أردت أن آكل شيئا من هذا فلا أذهب إلى هناك.

ما شاء الله! إنها تربية محمدية.

ومرة كنت عند الحلاق، فقص الشارب من هنا (وأشار الشيخ - رضى الله عنه - إلى شاربه) فجاءنى النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - وقال لى: لم خالفت سنتى؟ اللهم صل عليه.

حكاية أخرى:

جاء رجل من أهل الصعيد، وكان من أهل الكشف، فدخل القبة وتكلم مع مولانا

الحسين، وكان فى القبة رجل مقرىء، وكانت عنده قضية الساعة التاسعة، ثم قرأ الرجل آيتين بصوت جميل، فأراد الشيخ الصعيدى أن يعطيه بعض النقود، ويطلب منه أن يستمر فى القراءة، فقال له الإمام الحسين: هذا الرجل عنده قضية الساعة التاسعة ولن يسمع كلامك، فالتفت الرجل الصعيدى إلى المقرىء وقال له: يا سيدنا الشيخ: هل عندك قضية الساعة التاسعة؟ فرد قائلا: نعم، فقال له: إذن أبشر!

فانظر إلى الرجال .. هذا الولى عرف أن قضية المقرىء فيها خير، لأن الإمام الحسين ـ رضى الله تعالى عنه ـ نظر لها.

وحكاية أخرى:

رجل من السودان حضر إلى مصر، فجلس مع جماعة يقرأون دلائل الخيرات[1]، فقابله عفريت من الإنس !! وقال له: ما الذى ذهب بك إلى هناك؟ فتأثر الرجل، لأنه كان قادما من السودان حديثا ولم يكن يعرف، فرأى الإمام الحسين ـ رضى الله عنه ـ فى المنام، وقال له: نحن خير منهم، فقال الرجل لنفسه: الحمد لله، أنت رجل طيب، وربنا أراك الحقيقة، وظل يحضر قراءة الدلائل إلى أن سافر.

حكاية أخرى:

تشاجر رجل مع رجل آخر، فرأى سيدنا الحسين وهو يقول له: يا شيخ ! أما يكفيك أنه ترك أهله وجاء عندنا؟ أما يكفيك! ولما عملت قصيدة مديح، ودخلت القبة، فوجدته يقول: يكفيه شرفا أنه مدح مولانا !..

فالمدار كله على التوفيق، وقد قالوا: إن التوفيق عزيز، ولذلك لم يذكر فى القرآن إلا مرة واحدة، قال الله ـ تعالى ـ على لسان شعيب ـ عليه السلام ـ: ﴿وما توفيقى إلا بالله﴾[2].

س: ما هى كيفية الغسل من الجنابة عند الإمام مالك؟

---

(١) كتاب للإمام الجزولى رضى الله عنه.

(٢) هود: ٨٨.

جـ يغسل يديه ثلاثا إلى الكوعين، ثم يغسل الأذى عن فرجه وأنثييه ويغسل دبره، ويتعهد تكاميشه ثم بعد ذلك يتوضأ وضوءا كاملا ناويا بهذا الوضوء: السنة، ثم يصب الماء على رأسه ثلاثا، يعمها بكل غرفة، وينوى غسل الجنابة، ويغسل أذنيه ورقبته، ثم يغسل عضديه، ويفيض الماء على شقه الأيمن، ويتعهد ابطه وسرته، إلى أن ينتهى إلى الكعب، ثم يفيض الماء على المنكب الأيسر إلى الكعب، مع التدليك وتخليل أصابع اليدين والرجلين، وهناك طريقة أخرى: هى أن يغسل من منكبه الأيمن إلى الركبة ثم الأيسر كذلك، ثم يغسل من الركبة اليمنى، إلى الكعب، ثم من الركبة اليسرى إلى الكعب كذلك.

مسألة: إزالة النجاسة عند الإمام مالك واجبة مع الذكر والقدرة ساقطة مع العجز والنسيان، فلو فرض أن شخصا كانت بثوبه نجاسة وصلى الظهر والعصر ناسيا تلك النجاسة، ثم غربت الشمس، فإن صلاته تكون صحيحة ولا إعادة عليه، أما إذا بقى وقت قبل غروب الشمس يسع لازالة النجاسة، ووجد ماء يزيلها به وتذكر ذلك فإنه يغسل النجاسة، ويعيد الصلاة استحبابا، أما إذا تذكر وهو فى صلاته فإن صلاته تكون باطلة، وتجب عليه اعادتها.

أما إذا لم يكن لديه سوى ثوب واحد به نجاسة، ولا يجد ما يزيلها به، فإنه يجوز له أن يصلى بهذا الثوب، ولا يصلى عريانا، لأن ستر العورة مقدم على إزالة النجاسة.

مسألة وضوء الجنب: من السنة إذا أتى الإنسان أهله ثم بان له ألا يغتسل وأراد أن ينام فيستحب له أن يتوضأ ثم ينام، فقد روى عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة قبل أن ينام.

* * *

الـــدرس الرابع

في تفسير قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (١).

فالعلماء هـم الذين امتن الله عليهـم بعظيم المنة، فأعطـاهم الفضل الكبير، بـأنهم ورثوا علم النبـي ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ ولاشيء فـي الدنيا يعـدل الوراثة المحمديـة، وهم خلفاؤه في الأرض، فمـن أكرمهم، فكأنمـا أكرمه ـ صلى الله عليـه وآله وسلم ـ ومـن أهانهم، فكأنما أهانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «العلماء ورثة الأنبياء» رواه البخاري.

من أي جنس كانوا، فليست العبرة بالأنساب، وإنما العبرة بالعلم الشريف.

قال ـ صلـى الله عليه وآله وسلم ـ: «رحـم الله خلفائي» قالوا: ومن خلفـاؤك يا رسول الله؟ قال: «الذين يأتون من بعدي يبلغون الناس سنتي» رواه الطبراني في الأوسط.

وقال ـ صلى الله عليه وآلـه وسلم ـ: «نضـر الله امرءاً سمع مقـالتي، فوعـاها، فأداهـا كما سمعها» رواه أحمد والترمذي.

فدعا له بالنور في الدنيا والآخرة.

وما دام العلماء موجودين في الأمة المحمدية، فكأنما نبيهم محمـد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ موجود معهم، وهـم بخير ـ إن شـاء الله تعالى: فـإذا أعرض الناس عن سمـاع العلوم فوجود العلماء لاينفعهم، كإنسان جيء له بالماء ليشرب، فأعرض عن الماء وهو ظمآن.

والله ـ سبحانـه وتعالى ـ قـد حفظ القرآن والسنة، وأبقـاهما في صدور العلمـــاء، قـال ـ تعالى ـ: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ (٢).

---

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) العنكبوت: ٤٩.

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (١).

فاكرام العالم سماع العلم منه، واكرام العلم العمل به.

قال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «من يرد الله به خيرا يفقه في الدين» رواه البخاري ومسلم.

وقال الشيخ سلامة العزامي: «من أخذ العلم وعمل به كان كمن أخذ جناحين».

يعني: ليطير بهما في سماء المجد والرفعة.

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾، وهذا فضل العلم والعلماء.

قال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

فأصحاب النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هم أول علماء الأمة الإسلامية على وجه الأرض، وهم أول العلماء الذين ورثوا علم النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، لا نورث درهما ولا دينارا، ولكن نورث العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر» البخاري.

اللهم اجعلنا من أهل العلم العلماء المتعلمين السامعين المحبين، فمن لا يستمعون إلى العلم مبغضون. والنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يكرههم، لأنهم يشوشون على ورثته، وهم من شرار الخلق، ويطردون من إقبال الله ـ تعالى ـ عليهم.

فقد روى أن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يجالس أصحابه بالمسجد، فدخل ثلاثة نفر، أما أحدهم فرأى فرجة (مكانا خاليا) فجلس فيها، وأما الثاني فجلس عن قرب، وأما الثالث فخرج، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «ألا أدلكم على النفر الثلاثة»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «أما الذي وجد مكانا وجلس فيه، فهذا رجل أوى إلى الله، فآواه الله، وأما

(١) المجادلة: ١١.

الذى جلس عن قرب، فهذا رجل استحيا من الله، فاستحيا الله منه، وأما الذى خرج، فهذا رجل أعرض عن الله فأعرض الله عنه» رواه البخارى.

قال شراح الحديث: سمى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مجلس العلم مجلس الله، وجعل المعرض عنه قد أعرض عن الله ـ تعالى ـ.

بمناسبة ليلة القدر:

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هى حتى مطلع الفجر﴾.

(صدق الله العظيم)

ليلة القدر لها شرف عظيم جاءها لأن القرآن أنزل فيها، فالشرف ليس لذاتها، إنما شرفها نزول القرآن، فكيف بمن نزل القرآن على قلبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكيف بمن حفظ القرآن وعمل به؟

فالقرآن العظيم كلام الله، وأفضل شىء فى الدنيا هو القرآن العظيم، فهو كلام الله ـ تعالى ـ قال تعالى: ﴿فى كتاب مكنون﴾ (١). محفوظ من التبديل والتغيير إلى أن يرفعه الله إلى السماء، أنزله الله فى ليلة القدر فى رمضان بمكة فتشرفت به مكة، وتشرف به غار حراء، وتشرفت الدنيا كلها بالقرآن، وتشرفت البحار والجبال بالقرآن، فهو الشرف الكبير العظيم، ولهذا أقسم الله ـ تعالى ـ بمكة فقال: ﴿وهذا البلد الأمين﴾ (٢): الذى فيه الكعبة، والذى نزل فيه القرآن، وولد فيه خير البرية، ونزل فيه الوحى عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فالله ـ تعالى ـ شرف ليلة القدر، بمعنى أن العمل فيها يضاعف، يروى أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يتحدث مع أصحابه، ويقول لهم: «إن رجلا من بنى اسرائيل حمل السلاح فى سبيل الله ألف شهر»، فاستقل الصحابة أعمارهم فنزلت هذه السورة.

---

(١) الواقعة: ٧٨.

(٢) التين: ٣.

فمن يقم هذه الليلة فإن أجره يساوى أجر الرجل الذى جاهد فى سبيل الله ألف شهر، بل خيرا من ألف شهر. وما دام فينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا نخشى شيئا ولا نخاف، يقول الإمام البوصيرى:

كيف نخشى الضلال بعد وفينا * وارثو نور هديك العلماء

وأبى الله أن يمسنى السو * ء بحال ولى إليك التجاء

فالأمة لها إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التجاء، وإذا قلت: محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمام رجل مؤمن: اهتزت روحه، وانشرح صدره باسمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكيف إذا رآه !..

الشيخ الرازى: ـ المفسر الكبير ـ ذهب إلى المدينة المنورة، وجاءه حال الصوفية، فمدح قائلا:

وعليك صلى الله يا علم الهدى * ما حن مشتاق إلى مثواك

يا سيد السادات جئتك قاصدا * أرجو رضاك وأحتمى بحماك

أنت الذى لولاك ما خلق امرؤ * كلا ولا خلق الورى لولاك

أنت الذى من نورك البدر اكتسى * والشمس مشرقة بنور بهاك

صدق الشيخ الفخر الرازى، وقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال: «يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ لنبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك».

وقد أخرج الحاكم فى المستدرك أن آدم ـ عليه السلام ـ قد توسل بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

وقد روى الصحابة فى الأحاديث أنهم لم يكونوا يستطيعون أن ينظروا بأعينهم فى وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فهو كما قال البوصيرى:

كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكل الطرف من أمم

نعم هو النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فالشعاع النورانى يمنع عينيك من أن تفتحهما فيه، والرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يرانا الآن، ونحن لا نراه بعين البصر، ولكن يرى بعين الروح، قال ـ تعالى ـ: ﴿يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ (١) فهل يغيب الشاهد؟ كلا..

يقول الشيخ ابن عباد النفزى فى شرحه لحكم ابن عطاء الله السكندرى: «إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب»، فالشمس المحمدية لا تغيب، ليلها كنهارها، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «أتيتكم بالملة الحنيفية السمحاء ليلها كنهارها لا يهتدى إليها إلا كل منيب سالك، ولا يزيغ عنها إلا هالك» رواه ابن ماجه.

قصة:

الحافظ السيوطى من علماء الأزهر الشريف، كان له قريب عنده قضية لدى السلطات، فقال له: أنا أريدك واسطة لى عند السلطان، فرد عليه السيوطى قائلا: لولا أنى أخاف أن تصفنى بالبخل لما قلت لك عذرى، فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يأتى إلى، وأجلس معه يقظة، لنتدارس الحديث، فأخشى أنى لو ذهبت معك عند السلطان ينقطع عنى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

الشيخ الشربينى: كان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يأتى إليه كثيرا، وعندما تولى مشيخة الأزهر غاب عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، فأقال نفسه قائلا لهم: إن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أفضل من ألف مشيخة. فالدنيا لا تزال بخير.

وكنت أجلس فى درس للشيخ السمالوطى على يمين الكرسى الذى كان يجلس عليه،

(١) الاسراء: ٦١.

فقلت بقلبي: هل النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مع الشيخ كما يقول؟، فقال الشيخ لي: نعم يا ولد، نعم يا ولد، نعم يا ولد..

روى أن سيدنا آدم ـ عليه السلام ـ قال: يا رب.. أسألك بحبيبك محمد أن تغفر لي، فقال الله ـ تعالى ـ: وما أعلمك أنه حبيبي يا آدم؟ فقال: يا رب لما خلقتني رفعت رأسي فوجدت مكتوبا على ساق العرش: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله ـ تعالى ـ: صدقت يا آدم، ولولاه ما خلقتك» رواه الحاكم في المستدرك.

ولما أراد الله ـ تعالى ـ أن يزين آدم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام ـ وينوره ويرفع من قدره وشأنه، وضع على جبهته نور النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثم نادى في الملائكة: انظروا إلى آدم إلى المخلوق من طين، وإلى النور الذي على جبهته، فجاءت الملائكة، وجاء إبليس معهم، ولكون الملائكة خلقوا من النور المحمدي، فإنهم لما رأوا النور في جبهة آدم سجدوا طائعين لأمر الله، وأما إبليس فلكونه خلق من النار، فحينما رأى سيدنا آدم المخلوق من طين، حجب عنه النور، لأنه ليس من أهل النور، فلم يسجد وقال: «أأسجد لمن خلقت طينا»؟ فقال له الله ـ تعالى: ﴿فاخرج منها فإنك رجيم﴾ (١).

سيدي علي وفا ـ رضي الله تعالى عنه ـ كان من أرباب الأحوال والمقاصد، والأنوار والمكاشفات، قال:

لو أبصر الشيطان طلعة نوره * في وجه آدم كان أول من سجد

قال هذا الكلام بعد انزاله في قبره، فهذه كرامة له من الله ـ تعالى ـ، وما دامت الكرامة من الله ـ تعالى ـ فلا تستبعد عليه شيئا، وقل في أوليائه ما شئت، وأعرض عمن أنكرها، فلقد شهد الشيخ علي وفا ـ رضي الله تعالى عنه ـ المقام المحمدي عند دخوله القبر، فأنشد:

(١) سورة ص: ٧٧.

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد * هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد
أمسيت فى كنف الحبيب ومن يكن * جار الحبيب فعيشه العيش الرغد
عش فى أمان الله تحت لوائه * لاظلم فى هذا المقام ولا نكد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره * فى وجه آدم كان أول من سجد
لو أبصر النمروذ نور جماله * عبد الجليل مع الخليل وما عند

كان النور المحمدى مضيئا على وجه إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ فلو رأى النمروذ هذا النور لعبد الله ـ تبارك وتعالى ـ مع الخليل ـ عليه السلام.

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أكرم كثيرا من خلقه فإذا أردت الكرامة مثلهم، فعرض نفسك للنفحات ولا تتكبر، واحفظ قلبك وروحك وبصرك، وهيىء نفسك فى أى ساعة تلق المدد سريعا.

قال الصوفية: الإمداد على قدر الاستعداد، يعنى: على قدر ما تستعد تلقى الخير أو الشر، على حسب استعدادك، قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ (١). أى للخير، وقال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (٢)، وقال سبحانه: ﴿وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ (٣)، وقال ـ عز وجل ـ: ﴿قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا﴾ (٤)، لا يمد له فى الضلال، وإنما يمد له فى الصحة والعافية والسمع والبصر، ويذهب أنى شاء، فالله ـ تعالى ـ يقول: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير﴾ (٦).

---

(١) الليل: ٥ ـ ٧.
(٢) العنكبوت: ٦٩.
(٣) الليل: ٨ ـ ١٠.
(٤) مريم ٧٥.
(٥) النحل: ٩٠.
(٦) آل عمران: ٢٦.

ومن تلبية النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «لبيك اللهم لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك، والشر ليس إليك».

قصة دعاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على عتبة بن أبى لهب:

أخرج أبو نعيم وابن عساكر من طريق عروة عن هبار بن الأسود قال: كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام، وتجهزت معهما، فقال ابن أبى لهب: والله لأنطلقن إلى محمد فلأوذينه فى ربه، فانطلق حتى أتى محمدا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال: يا محمد هو يكفر بالذى دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى. فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك، ثم انصرف، فقال له أبوه: أى بنى، ما قلت له وما قال لك؟ فأخبره، قال: أى بنى، والله ما آمن عليك دعوة محمد، فسرنا حتى نزلنا الشراة وهى مأسدة [٢]، فقال لنا أبو لهب: إنكم قد عرفتم سنى وحقى، وإن محمدا قد دعا على ابنى دعوة والله ما آمنها عليه فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة، ثم افرشوا لابنى عليه ثم افرشوا حوله، ففعلنا، وبات هوفوق المتاع، ونحن حوله، فجاء الأسد فشم وجوهنا، فلما لم يجد ما يريد تقبض ثم وثب، فإذا هو فوق المتاع فشم وجهه ثم هزمه هزمة ففضخ رأسه وانطلق، فقال أبو لهب: قد والله عرفت ما كان ليتفلت من دعوة محمد.

وهكذا استجاب الله ـ تعالى ـ لدعوة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ـ تعالى: ﴿إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا﴾ [٣].

تواضعه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ:

عندما دخل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مكة، ومعه آلاف الصحابة وسيوفهم فى أغمادهم، وكان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ راكبا ناقته، فدخل البيت الحرام من باب بنى شيبة، فطأطأ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رأسه الشريف، حياء من الله تعالى ـ فوجد

(١) أصل التعبير (أنا) عبر بالضمير (هو) تحاشيا عن النطق بلفظ الكفر.
(٢) موضع تكثر فيه الأسود.
(٣) الطارق: ١٥، ١٦.

النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الكعبة مملوءة بالأصنام، فدخل ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكعبة وبيده عصا لأن حمل العصا ـ سنة ـ وكان الإمام على زين العابدين ـ رضى الله تعالى عنه ـ يحمل عصا من الخيزران، وهكذا كان والدى وجدى ـ فكان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يضع العصا على رأس الصنم ـ فينقلب على وجهه، والنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾ (١)، وهكذا حطم الأصنام كلها وفتح باب الكعبة ـ الذى كان مرتفعا على وجه الأرض، حتى لا يدخل منه ماء المطر، الذى يحمل الطين معه ـ وأسقط النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الأصنام كلها، لم يبق الا صنم خزاعة الذى كان مصنوعا من البلور، الذى يضيء فى وجه الشمس، وهذا الصنم كان على ظهر الكعبة، وكان الذى يعتليه يخشى السقوط من فوقه، فيظن الناس أن هذا الخوف بسبب الصنم، فدعا النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أشجع الرجال وهو الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه وكرم الله تعالى وجهه ـ وقال له: ضع قدميك على كتفى لأرفعك على ظهر الكعبة، ولا تخش شيئا، فإذا وصلت إلى الصنم، فاضربه بيدك إلى الأرض حتى ينكسر، فضرب سيدنا على ـ رضى الله تعالى عنه ـ الصنم ضربة واحدة، فهوى وانكسر، فدخل الإيمان قلوب من كانوا يعتقدون فى هذا الصنم، وكبر المسلمون، وتطهرت الكعبة من صنم خزاعة وغيره من الأصنام.

وهكذا الدنيا دائما فيها الخير والشر، أما الجنة فليس فيها إلا النعيم، فلا نوم ولا ليل ولا مرض بل غنى وفرح وصحة، فلا يوجد فيها ضدان، يقول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب.

وقال آخر:

أصبحت شخصا أرى الشخصين أربعة

والشخص شخصين لما مسنى كبرى

---

(١) الاسراء: ٧٠.

وكنت أمشي على رجلين معتدلا

فصرت أمشي على أخرى من الشجر

قال ـ تعالى ـ: ﴿وكواعب أترابا﴾ (١) أي في سن واحدة، لا يزيد سنهن، ولا ينقص في الجنة.

قال الشيخ عبد الرحمن عليش: في الجنة يتلذذ بسماع العلم، كما يتلذذ بفواكه الجنة، فالعلماء هم الذين يحتفظون بمكانهم في الجنة دون غيرهم.

وقد وضع النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يده الشريفة على وجهي وقال لي: اللهم صلِّ على سيدنا محمد طب القلوب ودواؤها، وعافية الأبدان وشفاؤها، ونور الأبصار وضياؤها، وأمرني أن أقولها، قال ـ تعالى ـ: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ (٢)، فجعل لابن آدم اسما، وأعطاه صفة الحياء، فحيثما تريد الدخول عليه لابد أن تستأذن قبل أن تدخل، فالنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ جاء بالشريعة السمحاء.

روى أن أبا موسى الأشعري استأذن على سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ ثلاثا، فلم يؤذن له، فانصرف، ثم قال عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن؟، ائذنوا له، فطلبوه، فوجدوه قد ذهب، فلما جاء أبو موسى بعدها، قال له عمر: ما أرجعك؟ قال: إني استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لي، وإني سمعت النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فلينصرف»، فقال له عمر: لتأتيني على هذا ببينة وإلا أوجعتك ضربا، فذهب أبو موسى إلى رهط من الأنصار، فذكر لهم ما قال عمر، فقالوا له: لا يشهد لك إلا أصغرنا، فقام معه أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ فأخبر عمر ـ رضي الله عنه ـ بذلك الحديث، فقال عمر: ألهاني عنه الصفق بالأسواق، وفي رواية أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال لأبي موسى: إني لم أتهمك، ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فأردت أن أتثبت، فكان عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ

---

(١) النبأ: ٣٣.

(٢) الإسراء: ٧.

لايقبل الحديث إلا بشاهد.

أما سيدنا على كرم الله وجهه، فكان يكتفى بأن يحلف الراوى بالله أنه قد سمع هذا الحديث من رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ يزور المقابر ومعه أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ فقال: ما شاء الله يا عبد الله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها، ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع كان له مثل أحد، فأرسل ابن عمر خبابا إلى عائشة يسألها عن قول أبى هريرة، ثم يرجع إليه فيخبره، فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة، فقال ابن عمر: لقد فرطنا فى قراريط كثيرة. رواه مسلم.

آثار وردت فى فضل جبل أحد:

روى أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يريد أن يكفن عمه حمزة بن عبد المطلب بعد استشهاده وأن يدفنه فى البقيع، فنطق الجبل وقال له: لو أخذت عمك من جوارى لذهبت خلفه.

وروى أن الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأبا بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ـ رضى الله تعالى عنهم ـ كانوا على جبل أحد، فانتفض الجبل، فوجل الصحابة من ذلك، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ للجبل: اسكن أحد، فإنما عليك نبى، وصديق، وشهيدان، فسكن الجبل.

قال الصوفية: الجبل يعرف الصحابة، ويعرف النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما تعرفونه ويحبه كما تحبونه، فانتفض الجبل فرحا بالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما انتفض البراق حينما أراد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يركبه.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «أحد جبل يحبنا ونحبه»، «أحد جبل من جبال الجنة».

قال العلماء: يدخل الجنة من الدواب عشر: ناقة سيدنا صالح، التى كانت فى ثمود،

والتى كانت تسقيهم جميعا بلبنها، وبقرة بنى اسرائيل التى كانت سببا فى رد روح الميت إليه، والبراق، ونملة سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ وكبش إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ الذى فدى به الذبيح إسماعيل ـ عليه السلام ـ وحمار العزير، وكلب أهل الكهف، وهدهد سليمان ـ عليه السلام ـ وحوت سيدنا يونس ـ عليه السلام ـ والعجل الذى قدمه إبراهيم ـ عليه السلام ـ لضيفه من الملائكة.

قال عليه الصلاة والسلام: «من شرب الخمر فى الدنيا لا يشربها فى الجنة» الإمام أحمد والنسائى.

س: ما هى مصارف الزكاة؟

جـ: زكاة المال تعطى للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل، فلو سرق الغنى فافتقر وركبته الديون فإنه يعطى منها، لأنه صار من الغارمين.

س: متى ترفع الصلاة عن الإنسان؟

جـ: لا ترفع الصلاة عن الإنسان إلا إذا ذهب عقله، أما فى مرضه فعليه أن يصلى جالسا فإن لم يستطع استند لشىء كحائط أو إنسان، فإن لم يستطع صلى على جنبه الأيمن، فإن لم يستطع صلى على جنبه الأيسر، وفى هاتين الحالتين تكون رأسه ورجلاه للقبلة، فإن لم يستطع أن يصلى على جنبيه صلى على ظهره ورجلاه للقبلة، فإن لم يستطع صلى على بطنه ورأسه إلى القبلة، فإن لم يستطع أومأ بيده أو بعينه وهو على حالته، فإن لم يستطع أجراها على قلبه.

س: ما حكم من لم يجد ماء ولا شيئا يتيمم عليه؟

جـ: اختلف العلماء، فقال الإمام مالك: لا يصلى ولا يقضى، وهذا هو الراجح، لأنه رفع عنه التكليف، لأن الله ـ تعالى ـ فرض الصلاة بشرط الوضوء أو التيمم، فإذا رفع الشرط رفعت الصلاة، وقال أصبغ: يقضى ولا يؤدى، وقال أشهب: يؤدى ولا يقضى، وقيل: يصلى ويقضى،

وقال القابسى: لو أن رجلا ربط فى شجرة فإنه يومىء للتيمم إلى الأرض بوجهه ويديه إن أمكنه الايماء، ويؤدى الصلاة ولا قضاء عليه، ومثل المربوط فى شجرة رجل هبطت به الطائرة فأنزلته فى أرض وحان موعد الصلاة، فلم يجد ماء ولا ترابا ولا حجرا، بل وجد أرضا من ذهب أو فضة أو جوهر، ففيه الأقوال الأربعة السابقة.

شيوخ الطريق وتربية المريد:

اعلم أن كل الطرق الصوفية الآن أصحابها فى البرازخ فى العالم الآخر، ومن هنا فلكل منهم اطلاع على مريده بقدر اطلاع خليفته فى الدنيا أضعافا مضاعفة، فهى تربية روحية، من باب خرق العادة، وهذا فى حال التربية من البرزخ، أما إذا كان الشيخ لا يزال حيا على ظهر الأرض، فإن تربيته تكون حقيقية، يأمره بالصلاة والزكاة وفعل الطاعات: صل، زك، افعل كذا وكذا، واترك كذا وكذا، والطريقة الأولى أبلغ من الثانية، والمريد يدرك تربية الشيخ العادية الحقيقية، فإذا قويت روحه، وحدث له اتصال ورأى شيخه الذى فى البرزخ مناما، فإنه يرشده إلى قيام الليل وسائر الطاعات، فإذا تقوت روحه أكثر، فإنه يراه يقظة، ويجلس معه ويتكلم معه، فيأتى له شيخه ويخبره بأشياء تحدث له فى حياته فيأمره بالصبر عليها، وينهاه عن فعل الأشياء القبيحة.

حكاية:

ذات مرة كنت ذاهبا إلى مكان ما، وكان جدى (الجعفرى الكبير) مدفونا فى بلد بعيد، وكنت أمشى بعد العشاء فى البيت، وكان فيه سلم (ودرابزين) فجاء رجل وقال لى: ارجع - وكان عمر جدى عندما توفى ثمانين عاما، والرجل الذى جاءنى عمره أربعون عاما، فوقع فى قلبى أنه جدى، فرجعت ولم أسأل، وهذا من التربية الروحية.

حكاية أخرى:

وكنت أعرف شيخا فى حى الحسين، وكنت جالسا معه فى مرة من المرات، فقلت له: نريد أن نعمل حضرة، فقال: لا، أنت هنا فى بلد لو كان عليك لحاف فضع عليه لحافا ثانيا،

ولكن اعمل حضرة ونحن نجيء إليك، فبعد وفاة الرجل بعشرين سنة، جاء رجل مغربي من فاس، وجلس في الرواق لا يكلم أحدا لمدة شهر، يصلي ولا يتكلم مع أحد، يخرج من الرواق ليأكل خارج الأزهر، وهكذا، وفي يوم من الأيام وجدته عند رجل يعمل الشاي بجانب حائط، ويشرب كوبا من الشاي، فقلت لبائع الشاي: هذا الشاي ثمنه عندي، وقل لهذا الرجل لا يدفع نقودا، وكان هذا الرجل لا يقبل من أحد أن يدفع له ثمن شيء، ويغضب على من يدفع له شيئا، ولكن شيخي حضر ورضاه، وقال له: اقبل منه.. وأنا لم أر شيئا من ذلك، فقال الرجل لي: هذا الشيبة يسلم عليك (يقصد شيخي) ثم التفت إلي وقال مرة أخرى: هذا الشيبة يسلم عليك ويقول لك: تذكر ما قاله لك سابقا، أنت في بلد لو كان عليك لحاف فضع عليه لحافاً آخر ـ ولم أكن قد وصلت لأن أراه يقظة.

حكـــاية أخرى:

كان هناك شيخ طيب اسمه (صالح) من اللاذقية، وكان من تلاميذي يحضر على الدرس، وكان الشيخ حسين الكردي موجودا وهو من الأولياء، وكان يلبس عباءة سوداء، لها زر، فلما حضرته الوفاة ألبس الشيخ صالحا عمامته، وأعطاه الأمان (السر) ولكن بعد وفاته تغير حال الشيخ صالح ولم يعد يحضر الدرس حتى إن الشيخ سليم المفتي كان يزوره، وكنت مرة جالسا أمام باب الرواق العباسي، فلقيته وسلمت عليه وسألته: لماذا لا تحضر الدرس؟ فنظر عن يمينه وقال لي: رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول لك: أنت ستنجح وتحصل على العالمية وتتوظف، ثم التفت ثانية وقال لي: أنت تصلي عليه بأي طريقة؟ فلت: أنا أخذت طريقة أحمدية، فالتفت وقال لي: رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول لك: صل عليه بكذا وكذا.

فانظروا: تلميذي هذا تغير حاله ولكنه مات بعد سنتين.

قال الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي: الولي الواصل يكون في الشام وروحه تربي المريد في مصر، وقال ذلك أيضا علماء التصوف واستدلوا على ذلك بقولهم: إن جبريل ـ عليه السلام ـ كان يأتي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في صورة رجل، وقال بعضهم: إن

جبريل ـ عليه السلام ـ يكون فى السماء وله ستمائة جناح وروحه تتولى هذا الجسد وتتكلم منه، وكذلك الولى الواصل روحه وهو فى الشام تتصرف فى هذا المريد كما كان سيدنا جبريل ـ عليه السلام ـ يتصرف وهو فى السماء.

حكـــاية أخرى:

يحكى أن شيخا صالحا كان عنده مريد، فغاب عنه مدة، فذهب الشيخ إليه فى بيته فوجده يظن فى نفسه أنه أحسن من شيخه ألف مرة، فقال المريد للشيخ: يا عمى أنا وصلت وأنا دخلت الجنة فلا أحتاج إلى طريقتك، وقال له: يأتى إلى طائر كل ليلة ويأخذنى إلى الجنة إلى مطلع الفجر، فقال له شيخه: خذنى معك، فجاء الطائر ـ وكان كبيرا ـ فركباه ووصلا إلى جنة المريد التى كان يتخيلها فأكل المريد من ثمرها، وامتنع الشيخ عن الأكل، لأنها ليست بجنة حقيقية، وقبيل الفجر دعا المريد شيخه ليعودا إلى بيته، فقال له: يا بنى إن من يدخل الجنة لا يخرج منها، ثم قال له: لن أخرج حتى يصبح الصباح. فلما أصبحا لم يجد المريد الجنة وإنما وجد مزبلة بها روث حمير وغير ذلك، فصار المريد يندم على أن الشيطان ضحك عليه ولكن شيخه لم يتركه بل عاد به إلى بيته وبدأ معه من جديد.

* * *

الـــدرس الخامس

فى تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون. نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون. نزلا من غفور رحيم. ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين. ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾(١).

(صدق الله العظيم)

هذا هو خير الحديث، وخير الكلام ..

قال النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « فضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله ـ تعالى ـ على سائر المخلوقات » ..

رواه الترمذى

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « إذا قرىء القرآن فتحت أبواب السماء» رواه السيوطى.

فهذه رحمة الله بين العباد..

وما دام القرآن موجودا، فالرحمة موجودة، لأن الله ـ تعالى ـ أنزله رحمة ، وأرسل المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رحمة ، فكيف تضيع أمة بين رحمتين؟..

ولذلك بقى القرآن ، وبقى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الأرض ولم يرفع النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى السماء، لتبقى الأمة المحمدية بين رحمتين، لأنه ما دام النبى

(١) فصلت : ٣٠ ـ ٣٥.

ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الأرض فإن الله ـ تعالى ـ يرفع العذاب عن أهل الأرض، قال تعالى : ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ (١). وهذه هي الحكمة الأولى لدفن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الأرض .

الحكمة الثانية : ليرى أمته وليفرح بهم حينما يأتون ويسلمون عليه : قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « ما من أحد يسلم علي ـ وفي رواية عند قبري ـ إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام ».

رواه أبو داوود

من أجل ذلك بقي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الأرض ليرد السلام على من يسلم عليه.

الحكمة الثالثة : ليعبد ربه في الأرض فتتنزل الرحمات والبركات بعبادته لربه ، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » حديث صحيح رواه البيهقي.

الحكمة الرابعة : لتعرض عليه أعمال الأمة فإن وجد خيرا شكر الله تعالى وان وجد غير ذلك استغفر الله لهم ، قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنا مت كانت وفاتي خيرا لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله ـ تعالى ـ وإن رأيت شرا استغفرت لكم» رواه البزار وابن سعد والهيثمي.

فبقاؤه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الأرض لأمور كثيرة ورحمات كثيرة ولتتشرف الأمة المحمدية بشفاعته، قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « من زار قبري وجبت له شفاعتي » وفي رواية : « من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة » رواهما البيهقي في شعب الإيمان.

« من زارني في مماتي فكأنما زارني في حياتي » رواه الدارقطني والطبراني والبيهقي.

---

(١) الأنفال : ٣٣.

وأحاديث الزيارة كثيرة يكفينا منها الحديث الذى صححه علماء نجد والرياض وهو قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ما من أحد يسلم على الا رد الله على روحى فأرد عليه السلام» رواه أبو داوود.

الحكمة الخامسة: لأن الله تعالى أتى له بروضة من رياض الجنة، فقد روى البخارى عن عائشة قولها : « قال ــ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : ما بين منبرى وبيت عائشة روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى».

رواه البخارى

فجعل الله للنبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ـ روضة من رياض الجنة يسكنها بعد موته وحبا الزائرين له بأن من يزوره يدخل الجنة ويصلى ركعتين فيها، قال الشيخ أحمد القسطلانى شارح البخارى : هى روضة حقيقية لو كشف عنا الحجاب لرأيناها ومن صلى فيها ركعتين وأقسم أنه صلى بالجنة ما حنث فى يمينه، وهذا الفضل تفضل به الله سبحانه وتعالى على المسلمين إكراما له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فإذا ذهبت إليه وسلمت عليه ورد عليك السلام وجبت لك الشفاعة يوم القيامة و إذا صليت فى روضته صليت فى الجنة .

والله تعالى إذا أدخل الإنسان الجنة فى الدنيا فهو أكرم من أن يمنعه اياها يوم القيامة، فمن أراد الله به خيرا جعله يزور النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فأنت إذا صليت فى الروضة وجدت خشوعا وحلاوة تفتقدهما فى أى مكان آخر. وعلى قدر ايمانك بالله والنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تحصل لك آثار وأشياء تبرهن لك على صدق قوله ــ تعالى ـ وقول نبيه المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

ومن الناس من يرى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى روضته ويسلم عليه ويرد عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ السلام (أى بالاشارة) ومنهم من يشاهده بقلبه، ومنهم من يسلم عليه بيده .

أما من لا يذهبون إليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقد أعطاهم ــ سبحانه وتعالى ـ مشاهدة وسلاما، فقد تعلمنا فى الصلاة أن نقول : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله

وبركاته، أما من كان هناك فالكاف تكون للمخاطب، السلام عليك أيها النبى و« يا» النداء محذوفة لأنه ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ مخاطب وليس منادى ولقد كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يسلمون فى الصلاة على موتاهم : « السلام على عثمان بن مظعون » فعلمهم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يقولوا: السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ـ الذين لا يعلم عددهم إلا الله ــ قال النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد صالح فى السموات والأرض» رواه البخارى.

أى سلامك هذا يبلغ كل عبد صالح من أهل السموات السبع والأرض.

الملك يقول : فلان يسلم عليك يا جبريل، السلام عليك يا ميكائيل، هذا عند أهل السماء، ولأهل الأرض يقول : يا عمر فلان يقرئك السلام.

ومن حبه ـ تعالى ــ للصالحين لم يتركهم فى الصلاة بل جعل لهم فيها نصيبا، قال ـ تعالى ـ : ﴿واذكر فى الكتاب مريم﴾ (١).لأنها من الصالحات والله سبحانه ـ وتعالى ـ فعال عظيم:

وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه الواحد

كل شىء من فعله هو، وأنت ناسيه، قال ـ تعالى ـ : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السمٰوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾(٢).

وإذا أراد الله بعبده خيرا جمعه مع أهل الخير، جاء جبريل فى نصف الليل وقال : يارسول الله.. إن الله يأمرك أن تذهب إلى أهل البقيع فذهب ودعا لهم عند زيارته، قال الإمام على ـ كرم الله تعالى وجهه ـ : « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

(١) مريم : ١٦.
(٢) الأحزاب : ٧٢.
(٣) النساء: ٦٤.

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر للأمة ، فقد جاء أعرابى وأناخ ناقته أمام المسجد ودخل وقال : السلام عليك يارسول الله ، سمعت عن الله وعقلت، سمعت قوله ـ سبحانه وتعالى ـ : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما﴾ (٣). فاستغفر لى يارسول الله ، ثم أنشد:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الحبيب الذى ترجى شفاعته * عند الصراط إذا ما زلت القدم

وخرج إلى ناقته ، وكان خادم القبة نائما فرأى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى المنام يقول له: أدرك الأعرابى وأخبره أن الله قد غفر له، فقام الخادم وخرج مسرعا فوجد الأعرابى يفك عقال ناقته، فقال : يا أعرابى .. جئتك ببشرى، قد غفر الله لك، فماذا حدث ؟ فروى له ما قاله ، فكتبت فى القبة الشريفة.

« إن الذين قالوربنا الله ثم استقاموا» شهدوا له بالربوبية والوحدانية فى الدنيا، ثم استقاموا : قال سفيان بن عبد الله الثقفى : يارسول الله.. قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك، قال : « قل آمنت بالله ثم استقم» رواه مسلم.

فالايمان به تعالى يحتاج إلى الاستقامة والايمان به عقيدة فنعتقد بأنه واحد، أما الاستقامة فهى فى لغة العرب التى نزل بها القرآن: أنهم يقولون مستقيم أى معتدل كما يقول الشاعر العربى :

متى يستقيم الظل والعود أعوج
وهل ذهب صرف يساويه بهرج

(١) الاسراء : ١٤

وفى الشرع : الاستقامة : فعل الواجبات وترك المنهيات ، فمتى فعلت أوامره وتركت نواهيه فأنت معتدل عند الله أولا، توجه بأعمالك إليه، واجعل فكرك معه، وإذا قال لك قلبك أنت بخير فلا تشغل نفسك بالدنيا فقلبك يعرف : ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾(١).

قالت السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها :

فليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر * وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين * وكل الذى فوق التراب تراب

فالقلب هو ملك الجسد فاسأله يخبرك عن حالك : ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾(١).

وقال الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « الحلال بين والحرام بين » رواه البخارى.

فمن الذى لا يعرف الحلال من الحرام ؟، ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾(٢).

ربنا : خالقنا ورازقنا ومدبر أمورنا ومحيينا ومميتنا وسامعنا ومجيبنا ، وهو الله ، وهو ربنا الذى نعبده.

«قالوا ربنا الله ثم استقاموا» ثم اعتدلوا فى حياتهم ..

أنت تصلى ؟ نعم ، أنت تزكى ؟ نعم ، إذا أنت معتدل فلا تشرب الخمر حتى تكون معتدلا، أما إذا فعلت شيئا من ذلك فلن تدخل فى المعتدلين.

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾(٣).

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾(٤). السبل: هى الحياة الطيبة، والمعنى من

(١) القيامة: ١٤.
(٢) الاسراء: ١٥.
(٣) النحل: ٩٧.
(٤) العنكبوت: ٦٩.
(٥) الأحقاف : ١٣.

جاهدوا أنفسهم وجاءوا عندى أهديهم الطريق الموصلة إلى.

فإذا صليت ليلا وقلت : يا رب أنا أريد هدايتك، وأنت تقول أذكرنى فأنا أذكرك ، وتقول : أطعنى فأنا أطيعك ، فعند ذلك يعجل لك ما تطلبه.

﴿فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾ (٥).

لطيفـــــة:

منذ أربعين سنة كنت طالبا فى الأزهر الشريف أجلس فى حلقة درس فيها طالب علم شتمنى فحدثتنى نفسى أن أضربه، ثم راجعت نفسى فقلت : أنا أفوض أمرى إلى الله، ثم قرأت الأوراد، ودخلت فى حلقة الدرس ، فوجدت من أخذنى إلى حلقة درس غير الدرس الذى كنت أحضره، فوجدت رجلا طويل القامة أمسك بهذا الطالب وجعل يضربه فلما رأيت ذلك قلت : يارب الحمد لله ، الحمد لله .

والله سبحانه وتعالى يعاملك بأحسن مما تعامله، هذا فى الدنيا، فإذا خرجت من بيتك أرشدك إلى حضور الدرس بعد الصلاة ، فهذا الدرس طريق موصل إليه، لأن العلم يعرفك بالله، أما الشيطان فعنده أيضا سبل : ﴿وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (١).

أما السينما والخمارات فهى من سبل ابليس اللعين تفرق العبد عن سبيل الله وطريقه، قال - تعالى - : «ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله».

نظام وأحكام وقوانين وأمور عجيبة!..

فربنا ينظر لكل إنسان كأنه فى الأرض وحده : ﴿إنما نعد لهم عدا﴾(٢) :النفس معدود، فما بالك بالأعمال ؟ ﴿ألايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾(٣).

---

(١) الأنعام : ١٥٣.
(٢) مريم : ٨٤
(٣) الملك : ١٤.

تجلى الأعمـــال:

يحدث للصوفية بعد الذكر والتقوى ما يسمى بتجلى الأعمال، ومعناه أن الصوفى يرى الله فعالا لكل شىء ليس ذلك باعتقاده فقط، ولكن بذوقه أيضا يرى الله ـ تعالى ـ فعندما يقوم للصلاة ليلا، يرى أن الذى أركعه هو الله الذى يسمع لمن حمده، ومتى ذكر الله لم يدخل الرياء فى قلبه، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلقنا وما نفعل، وهذا أول فتح الباب لطالب الولاية، فلا يكون الولى وليا وهو يرى نفسه يصلى ويقرأ ويرى الفعل منسوبا إليه، بل يراه منسوبا إلى الله ـ عز وجل ـ.

قال رسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: « بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وان شاء عاقبه» اهـ الحديث.

أى فمن فعل شيئا من ذلك واطلع عليه الحاكم وعاقبه فهو كفارة له، والله ـ تعالى ـ لا يعذبه يوم القيامة، وإذا لم يطلع عليه الإمام فهو إلى الله: إن شاء عذبه وان شاء عفا عنه، أخرجه البخارى وسمى حديث البيعة.

«تتنزل عليهم الملائكة».

عند الموت وخروج الروح تتنزل ملائكة الرحمة: «إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم، فثبتوا الذين آمنوا»(١).

«الذين تتوفاكم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم»(٢).

فملائكة الرحمة تتنزل ساعة الوفاة بالآتى:

١ ـ ألا تخافوا.

---

(١) الأنفال: ١٢.

(٢) النحل: ٣٢.

٢ ـ ولا تحزنوا.

٣ ـ وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون.

٤ ـ نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

أولا: الميت يخاف أو لانتقاله من الدنيا إلى الآخرة، فتنزل الملائكة تطمئنه : لاتخف ، نحن مرسلون لك، يقول لك رب العزة : لاتخف.

ثانيا : يحزن الميت للفراق، فتقول الملائكة : لاتحزن، فالله يقول لك : لاتحزن ، ستعطى عطاء ينسيك كل شىء.

ثالثا : تبشره الملائكة بالجنة فتقول له : هناك جنة وعدك الله بها وأنت نازل فيها.

رابعا: «نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا» تقول الملائكة : أرسلنا لنثبتكم على الصيام والصلاة والزكاة والعلم.

مثـــــال :

الإنسان إذا دخل الامتحان فقال له قريبه المسئول : سوف آتيك فى اللجنة، يفرح فرحا شديدا بذلك ، فما بالك بالملائكة المرسلة من عند الله ، ليس فقط فى الدنيا بل فى الآخرة، يقولون لهم : كنا معكم فى الدنيا ونحن معكم فى الآخرة أيضا، أثناء الحساب واقفون معكم، أما الجنة ففيها كل ما تود وتطلب وتشتهى.

﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل﴾ (١).

كيف ينضج اللحم فى الجنة ؟

أما مسألة النار فى الجنة فقد بحث العلماء فيها وانقسموا ثلاثة أقسام : للاجابة على كيفية نضج اللحم فى الجنة.

---

(١) الأعراف : ٤٣.

القسم الأول قال : إن هناك نارا فى جهةمن الجنة معدة لنضج اللحم.

القسم الثانى قال : إن الجنة لانار فيها فاللحم ينضج خارج الجنة.

القسم الثالث قال : وهو الأصوب ـ ينضج اللحم « بكن فيكون » بلا تعب ولا مشقة منهم.

حكاية :

يحكى أن الشيخ عبد العزيز الدرينى أغضبته امرأته فترك بيته وصعد جبلا ودخل مغارة فوجد فيها اثنين من العباد فجلس يعبد الله معهم ويأكل معهم، فوجدهم حينما كانوا يطلبون الطعام فى الغداء والعشاء والافطار يرفعون أيديهم بالدعاء فينزل الطعام واستمروا على ذلك ثلاثة أيام ، فلما انتهت الضيافة قالوا له : الضيافة ثلاثة أيام وقد انتهت فإن كنت منا ـ أى من الأولياء ـ فعليك طعام الإفطار غدا والا فاخرج، فرفع يديه فى الصباح ودعا الله ـ تعالى ـ فجاء طعام الافطار فأكلوا وشبعوا ولكن أخذتهم الغيرة منه فقالوا له : نستحلفك بالله ماذا قلت فى دعائك ؟فقال : نعم، بشرط أن تخبرونى بقولكم أنتم أولا، فقالوا نحن علمنا من أهل الله الكبار أن نقول : اللهم بصبر عبدك عبد العزيز الدرينى على امرأته أنزل علينا الطعام، فقال : وأنا قلت: اللهم إنى أسألك بما سألاك به. ثم ذهب إلى زوجته فقال لها : هاتى رحلا وتعالى معى، فقالت له . أو قد أخبراك ؟ لن أغاضبك بعد اليوم.

حكـــاية أخرى :

كان هناك صحابى [1] يجلس مع النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فرآه النبى يزداد نحولا واصفرارا، فسأله النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ : أبك مرض؟ قال : لا، قال : مالى أراك ناحلا مصفرا؟ قال : إنما يضعفنى شىء أفكر فيه وهو أننى أحبك كثيرا فإذا خرجت من عندك يصيبنى مثل الجنون ـ يعنى أحب أن أكون دائما معك أنظر إليك ـ ثم أفكر فى يوم القيامة إذا دخلت الجنة فستكون فى الفردوس الأعلى، وان دخلتها فلا أراك ، فسكت

(١) هو ثوبان خادم النبى صلى الله عليه وسلم.

الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة معه لأنه لا أحد يعلم الجواب، فنزل جبريل بقوله تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ﴾ (١). فقام الصحابة يعانق بعضهم بعضا، لما عرفوا أنهم سيرونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الجنة يوم القيامة ، قال سيدى العارف بالله أبو العباس المرسى ـ رضى الله عنه ـ الذى كشف الله عنه الحجاب وعرفه الغيب : لو غاب عنى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « ويل لمن يغضب وينسى غضب الرب » رواه الديلمى.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « ما من مؤمن إلا وله كل يوم صحيفة فإذا طويت وليس فيها استغفار طويت وهى سوداء مظلمة، وإذا طويت وفيها استغفار طويت ولها نور يتلألأ».

وهناك عند الصوفية مقام المحاسبة ثم المراقبة، وهى أعلى من المحاسبة ، فالله تعالى يراقب عباده، فإذا حدثتك نفسك بمعصيته فذكرت الله ، فإنه يرجعك عنها، بهدايته وبقوته ما دمت قد ذكرته، لأنه سبحانه وتعالى غيور على عبده، قال عليه الصلاة والسلام : «ان الله عز وجل يغار ، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله » رواه مسلم.

فهو ـ سبحانه وتعالى ـ يريد من العبد أن يتكلم معه فيقرأ قرآنه ويدعوه، فالله ـ تعالى ـ يغار من الإنسان إذا اشتغل بغيره، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ قد وفر للإنسان كل وسائل الرخاء، فخلق له من أنواع النعم ما تقربه عينه وخلق السموات والأرض وزينها له، وذلك ليعبده ويقر بعجزه أمام الله ويستغفره ويقول فى دعائه : الهى أنت الكريم وأنا اللئيم، فاغفر لى يا رب.

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أصبح يقول : « أصبحنا وأصبح الملك لله ، أسألك يا

(١) النساء: ٦٩، ٧٠.

رب خير هذا اليوم، وخير ما فيه، وأعوذ بك من شر هذا اليوم ، وشر ما فيه».

ومن كرمه ـ سبحانه وتعالى ـ أنه إذا أتاه العبد العاصى لا يحاسبه ولا يقول له لماذا عصيتنى؟ ولكن يقول كما جاء فى الحديث الصحيح ـ ما معناه ـ قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « إذا جاء العبد الصالح وقال يارب ، قال الحق ـ سبحانه ـ : لبيك ، وإذا جاء العبد العاصى قال له الحق ـ جل وعلا ـ : لبيك لبيك» فهو سبحانه وتعالى كريم، حليم عظيم.

قال تعالى : «**ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن**». المعنى : أنه لو أساء إليك أحد بالقول فأنت تملك أحد أمرين : إما الرد بالاساءة بالمثل، أو الرد بالحسنى، وهذا أقسط عند الله وأكرم لك كما قال ـ سبحانه ـ : «**إدفع بالتى هى أحسن**» فتكون النتيجة : «**فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم**». صدق الله أحكم الحاكمين، وأفضل المشرعين، خبير، عظيم ، رحيم، كريم.

مثـــال:

لو أن رجلا يمشى فى الطريق فنبح عليه كلب فرماه بحجر لهجم عليه وعضه، ورجل آخر نبح عليه الكلب فرماه برغيف فيه لحم فقعد الكلب يأكل وتركه يمر، فإذا نفعت الحسنة مع الكلب أفلا تنفع مع الإنسان ؟!.

حكـــاية :

حكم على أحد الناس بالإعدام فهرب إلى الجبل، فلقى أسدا رافعا يده ينزل منها الدم، فنظر الرجل إليها، فوجد فيها شوكة فأخرجها وكوى موضعها بالنار، فشفى الأسد، ومكث يصطاد الغزال والرجل يذبح ويأكل واستأنس كل منهما بالآخر، إلى أن قبض على الرجل والأسد معا، وأودع كل منهما مكانه لتنفيذ الإعدام فى الرجل، ولكن الأسد عرفه فى الظلام فراح يتمسح به ولم يؤذه، فلما أصبح الصباح وجدوا الأسد مع الرجل فدهش الحراس وذهبوا إلى الملك وقالوا له : تعال انظر ما هذا ؟ فقال الملك للرجل : هل أنت ولى ؟ ـ أى

من الأولياء ـ قال : لا، فقال له : فما هذا ؟ فحكى الرجل له قصته مع الأسد، فقال الملك : ولوفاءِ الأسد عفونا عنك، وجعلناك خادما للأسد فى الحديقة.

ففكر فى نفسك واعمل الجميل مع ربك ، فكيف به ! ! ..

* * *

الـــدرس السادس

فى تفسير قوله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيـم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **إن يوم الفصل كان ميقاتا. يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا. وفتحت السماء فكـانت أبوابا. وسيرت الجبال فكانت سرابا. إن جهنم كانت مرصادا. للطاغين مآبا. لابثين فيها أحقابا**﴾ (١).

(صدق الله العظيم)

لادليل على أن القرآن من عند الله الا القرآن نفسه، وهذا بالطبع «**لمن كان له قلب**» سليم، ﴿**أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾ (٢). استمع بأذنه ، وأنصت بقلبه، لأن التلقى الإلهى إنما يتنزل على الروح ، ولهذا قال ـ سبحـانه وتعالى ـ ﴿**وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له**﴾ (٣) بآذانكم، «**وأنصتوا**» بأرواحكم وقلوبكم، لأن الامدادات الإلهية تنـزل على القلب والروح، فمن استمع بأذنـه فقط لاينزل عليـه تجل ولا سر،ولكـن إذا أنصت واستمـع بقلبه وروحه يتجلـى الحق ـ سبحانه وتعالى ـ عليه ، لأنه إذا قرأ أحد القرآن فإن الرحمن يتجلى عليه.

ومـن صفاتـه « السميع » فـالله تعالـى يسمع القـراءة وإذا وجد أن روح القـارىء تناجيـه وتخاطبه أنزل على قلبه من أسرار القرآن ما لايعد ولا يحصى من آيات التجلى.

وآيات القرآن العظيم لها معان كموج البحر فـى مدده، ولا يشبع منها العلماء ، تتنزل على كل ذى قلـب سليم، وحينما يقرأ القـرآن فعلى قدر توجـه العبد بقراءتـه لربه يحصل لـه أنس ربانى، خاصة إذا كانت روحه مستعدة للتلقى والالهام ، قال الله ـ تعالى ـ ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها**﴾(٤) إلهام ظاهرى أما الباطنى فخاص للمتقين .

أى شرح ووضح لها طريق الخير والشر وجعلها ناطقة بالقرآن موافقا رأيها لما ينزل منه.

---

(١) النبأ: ١٧ ـ ٢٣.
(٢) سورة ق: ٣٧.
(٣) الأعراف: ٢٠٤.
(٤) الشمس: ٨.

وقد كان سيدنا عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ من المقربين المحدثين عن الله بسبب القرب والإخلاص والتوجه الربانى ، والإنسان غافل عن الله، وليس عن الدنيا وما فيها، فيقفل باب الأنس والحب والمودة الربانية والعناية الإلهية الربانية ﴿**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ (١).

يتكلم الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن صفته وأنه عليم، وأنه أعلم بظاهر الإنسان وباطنه ويعلم سره وجهره ، وقد أخبر ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن قرب الله سبحانه وتعالى منا، وهذا القرب لا تحيط به الصورة، ولا يقدر على بيانه العلماء، وقد ضرب الله ـ سبحانه وتعالى ـ للعباد مثلا لقربه منهم فقال : ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ فهو أقرب إليهم من أرواحهم التى فى أجسادهم، ومن عقولهم التى يعقلون بها، وهذا القرب لا يمكن ادراكه ماديا، وهو حقيقى كوجوده ـ سبحانه وتعالى ـ ، فالله موجود، ولا يجوز لنا أن نتخيل صورة هذا الوجود.

فسبحان من سمى نفسه « الملك » ، « القوى» الذى لا يموت ولا يزول، ولا يبغى ولا يبغى أحد عليه، ﴿ **فتعالى الله الملك الحق**﴾ (٢): الحاكم الحق، تفنى الأمم والدول والحكومات ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ (٣) فهو العادل الرزاق، والناصر والسميع والبصير والعزيز والشهيد، والذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

فهو ـ سبحانه ـ يحيى كيف يشاء، ويميت كيف يشاء، وقد يغتر الإنسان ويظن أنه ملك الدنيا فإذا هو بعد ساعات معدودة ملقى على الأرض ميتا، فلا بقاء إلا الله، ولا ملك ولا جبروت ولا عظمة إلا لله، أما عظمتك أيها الإنسان فكاذبة، لأنها تفنى وتزول ويزول صاحبها، أما الحق ـ سبحانه ـ فإنه لا يفنى، بل يبقى. سبحانه الله العظيم ، خلق سبع سمٰوات، وعمرها بالملائكة ، وعلمهم أن يسبحوه فيقولوا: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، فهم

---

(١) سورة ق: ١٦.
(٢) طه: ١١٤.
(٣) الرحمن: ٢٧.

يسبحون فى السماء ليلا ونهارا، لا يفترون، ولا ينامون، لعظمة الله وجلاله وجبروته، وقد خلق ـ سبحانه وتعالى ـ عرشا وكرسيا، إظهارا للعظمة والكبرياء، ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ (١): يتعاظم على خالقه، ويتعالى عليه وينساه، ﴿من أى شىء خلقه﴾ (٢) أمن ذهب ؟ كلا ﴿من نطفة﴾ قذرة ﴿خلقه﴾، فعلام التكبر؟.

قالت السيدة نفيسة رضى الله عنها: « لماذا يتكبر من أوله نطفه مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو فيما بينهما يحمل العذرة» ، « تتنه عرقة»، «وتقلقه بقة»، وتقتله شرقة» ما أضعف الإنسان!..

﴿ وخلق الإنسان ضعيفا﴾ (٣) فلم يتكبر على القوى العزيز؟ ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ (٤) يقول الإنسان : أولادى أنى لى برزقهم ؟ فيرد الله تعالى : «إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » . أما أنت أيها الإنسان فكذاب أشر حينما قلت أنى لى برزقهم، ان الله هو القوى، وأنت حينما قويت نفسك فقد كذبت، لأنك لا ترزق نملة، فكيف ترزق أولادك؟ «القوى المتين» يرد على كل متقول وعلى كل متعد : بالقرآن وبالفعل وبالموت ﴿فعال لما يريد﴾ (٥)، وفرعون اغتر فقال : ﴿أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ﴾ (٦) قال الثعلبى فى تفسيره : « لما افتخر فرعون بالماء أغرقه الله بالماء، ولما افتخر ابليس بالنار جعل عذابه بالنار، وإنما خلق الله آدم من تراب ليمنعه ـ أى التراب ـ من الكبر».

قال الشيخ عبد السلام بن سليم الأسمر ـ رضى الله عنه ـ :

«أجلك ورزقك وقبرك معك، لا تفارق الأرض أبدا، فكيف ترى القبر وتنسى الموت؟! وأجلك هو الليل والنهار، فكيف ترى النهار والليل، وترى أجلك بعينك وكيف تنسى أنك

---

(١) عبس: ١٧.
(٢) عبس: ١٨.
(٣) النساء: ٢٨.
(٤) الذاريات: ٥٨.
(٥) البروج: ١٦.
(٦) الزخرف: ٥١.

ستموت وأن أجلك فى نقصان؟!».

يقول الشيخ البرعى:

تنبهـــوا يـــا رقـــود * إلـــى متـــى ذا الجمـــود
وكلمـــا مـــر يـــوم * منهـــا فليـــس يعـــود
فـــاستكثـــروا الـــزاد فيهـــا * إن الطـــريـــق بعيـــد

فالـواجب عليك أنـك كلما نظرت إلـى النهار أو الليل أن تبكـى، لأنه جزء انقضـى من عمرك، يقول الشاعر العربى:

يسر المرء مـا ذهـب الليـالـى * وكـان ذهـابهـن لـه ذهـابـا

فهل يفرح من كان عمره فى نقصان أم يحزن ؟ العاقل يحزن، يقول الله تعالى: ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ (١)

فالصالحـون يرون أن العمر يمضى فلا يفرحـون بذلك، وإنما هم يفرحـون بالإيمان، لأن الإيمان يزيد بالنسبـة لهم، قال تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياتـه زادتهم إيمانا﴾ (٢): فلا تفرح بالعمر لأنه ينقـص، وافرح بالإيمان لأنه يزيد، قال ـ صلى الله عليـه وسلم ـ: « خيركم من طال عمره وحسن عمله » رواه الترمذى.

فالمؤمن إذا كان عمره ينقص فإن أعماله الصالحة تزيد، فليفرح بما يزيد.

﴿إن يوم الفصل كـان ميقاتا﴾ (٣): وجه الله الخطاب إلـى المسلمين والكافريـن: ان يوم القيامـة هو الموعد: « ميقـاتا» فيه الـوعد والوعيـد، الحسنات للمتقى، والجزاء علـى السيئة للمسىء، «الفصل»: القضاء المبيـن الموضـح للظالـم والمظلوم، ففـى هذه الآيـة يقول ـ سبحانه وتعالى ـ للمؤمنين: إذا صليتم وحججتم وزكيتـم فلا ينتظر أحدكم أن تكون الدنيا ـ

(١) القصص: ٧٦.
(٢) الأنفال: ٣.
(٣) النبأ: ١٧.

وهى فانية ـ جزاء لـه على إحسانه وتقواه لله ، فالله الباقى يأبى أن يجعـل الثواب على عبادته شيئا فانيـا، ولكن كما أبقى الجنة وخلدهـا فهى دار جزائه لعباده الصالحين، فـإذا أصابتكم مصائب فلا تطـالبونى أن أجعل الدنيا كـرامة لكم ومعزة، لأنها ليست لكـم وهى دار الغرور، فالنبى ــ صلى الله عليه وآله وسلـم ـ كسرت رباعيته وشـج جبينه وتلقى الدم بيـده الشريفة، وهكذا الدنيا، فهى ليست بجزاء للمؤمنين، فإذا أصابك فى الدنيا شىء فأسلم الأمر إليه، لأنه ـ تعالى ـ اختـار للمؤمنين، وجعل اختياره فوق اختيارهم، لأنـه يعلم ما لا يعلمون ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبـوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (١).

المعنى: سلم الأمر إليـه فهو يعلم ما لا تعلم، فإذا رأيـت ما تكره فاستبشر، لأنه يعلـم العاقبة، وكان النبـى ـ صلى الله عليـه وآله وسلم ـ يقـول كل ليلة: «اللهـم إنى وجهت وجهـى إليك، وفوضت أمرى إليك وأسلمت نفسى إليك، وألجـأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك» رواه البخارى ومسلم.

الشيخ أحمـد بن عطـاء الله السكندرى رحمه الله يناجى الله ــ تعالى ــ فى حـال الصفاء والوفاء والأذكار فيقول:

«من وجدك فما فاته شىء، ومن فقدك فقد فاته كل شىء» .

يريد: من آمن بـك وعرفك وعبدك وأسلم إليك أمره واعتز بذلك وقـرأ كتابك ووجد حلاوة فى كـلامك، ما فاتـه شىء، ومن فقـدك أى فقد معرفتـك بقلبه فيكون قد فـاته كل شـىء فى الدنيا والآخرة. ويقول أيضا:

«عميت عين لم ترك عليهـا رقيبا، وخسرت تجارة من لم ينل من حبـك نصيبا، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل؟ وأنت حسبى ونعم الوكيل».

حديث قدســـى:

يقول رب العزة ـ جل وعلا ـ فيما يرويه عنه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «من تقرب إلى

---

(١) البقرة: ٢١٦.

شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة» رواه البخارى ومسلم.

فإذا أحبنا الله تعالى ـ وهو الغنى عنا ـ فإنه يتجلى علينا، وهذا الحب لا يأتى إلا إذا قدمنا نحن الحب من جانبنا أولا، فمثلا: إذا كنت نائما ليلا وحدثك قلبك بالقيام للصلاة فهجرت النوم مع رغبتك فيه وقمت وتوضأت وصليت ركعتين فهذا دليل على محبتك لله، فلو لم تكن تحبه لما تركت لذيذ المنام الذى تحبه نفسك، وفعلت ما يحبه الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿**والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما**﴾(١)، فهو سبحانه وتعالى يحب القائمين بالليل للصلاة.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «يضحك ربك لثلاث: القوم إذا صفوا للقتال فى سبيل الله والقوم إذا صفوا للصلاة، والرجل إذا قام من الليل يصلى» رواه الإمام أحمد فى المسند.

ومعنى «يضحك» أى يرضى رضاء زائدا، فآية الحب أن تترك ما تحبه وتعمل ما يحبه ـ سبحانه وتعالى ـ.

روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «إذا أحب الله عبدا نادى: يا جبريل إنى أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادى فى الملائكة: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض».

فأهل السماء من الملائكة الكرام يعرفون هذا العبد المحبوب عند الله، وكذلك أهل الأرض حتى الجمادات والحيوانات، وينادى ربنا فى الخلق: أن أطيعوا أمر محبى، ثم ينزل الله له القبول فى الأرض.

سيدنا إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ أحبه ربه فابتلاه بالنار، لأنه إذا أحبه فلا يبخل على الله بشىء، فمثلا: لو أن رجلا يحب الله وعنده صندوق من ذهب فسرق منه دينار فإنه لا يحزن على ذلك الدينار الذى لا يساوى شيئا، لأن محبة الله عند الصالحين لا تعدلها الدنيا بما فيها.

---

(١) الفرقان: ٦٤.

أحد المحبين: قعد على شاطىء بحر فأراد الله أن يختبره فجاءت حورية تمشى على الماء وسلمت عليه وقالت له: أنا من حوريات الجنة بعثنى الله إليك فنظر إليها فأعجبه جمالها وقال لها: إنى أحبك، فقالت له: ولكن أختى أجمل منى، وأشارت خلفها فالتفت فضربته على قفاه وقالت له: أنت صاحب حب كاذب ـ يعنى من أحب حقا فلا ينظر إلى ما سوى المحبوب. فالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن عنده مال، وعرضت عليه كنوز الأرض نفسها وقالت: يا رسول الله.. إن الله تعالى قد جعلنا تحت أمرك، فأبى وقال: إن الذى عندى هو خير منك وهو حب الله، وهذا معنى قول البوصيرى ـ رحمه الله ـ:

وراودته الجبال الشم من ذهب

عن نفسه فأراها أيما شمم

لقد أحب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ربه فأحبه ـ سبحانه وتعالى ـ، فزهد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى كل شىء، وهذا هو الزهد، أما الفقير المعدم فلا يعد زاهدا، لأن الدنيا ليست معه، ففى هذه الحالة تكون الدنيا هى التى زهدته وليس هو الذى زهد فيها.

إبراهيم بن أدهم: ورث الملك عن أبيه، ولكن أراده الله أن يكون من أوليائه فدخل يوما قصره، فوجد جارية تنام على سريره ـ وكانت خرساء ـ فقال لها: أتنامين على سرير الملك وأنت خادمة؟ فأنطقها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فقالت له: ما أحلم الله عليك ! وما أجرأك على الله ! أتأخذ اسمه «الملك» سنوات، وأنا أنام على سريرك ساعة فتغضب ؟! فاتعظ إبراهيم ـ رضى الله تعالى عنه ـ وزهد، وخرج تاركا ملكه وراءه، وجلس يتعبد، على شاطىء البحر، فعلمت أمه بذلك فذهبت إليه تعاتبه فألقى أمامها بإبرة فى البحر، ثم طلب من السمك أن يحضر الابرة، فجاءت كل سمكة وفى فمها إبرة من الذهب، فقال للسمك: أنا أريد إبرتى، فعاد السمك إلى الماء وجاءت له سمكة بإبرته، فقال لأمه: أرأيت يا أمى؟ أهذا الملك خير أم الملك الذى كنت فيه؟ فتركته وانصرفت راضية سعيدة.

وحدث أن اشتهت نفسه رمانا فخرج من الخلوة وذهب إلى حديقة فى أحد الجبال وقال للحارس: بع لى رمانة، فأتى له برمانة فكسرها فإذا هى مرة كالحنظل فقال له: ما هذا؟ فقال

الحارس: لى عشرون سنة فى هذه الحديقة ما تذوقت الرمان، فسأله إبراهيم: لماذا ؟ فقال: أنا خادم وخدمتى لسيدى ألهتنى عن أكل الرمان، فعاد إبراهيم وقد اتعظ.

وفى الطريق: وجد رجلا نائما على الأرض قد ابتلى بكل الأمراض وهو لا يفتأ يقول: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به غيرى، فقال إبراهيم: وهل هناك شىء من البلاء لم تصب به؟ فقال له: نعم، عافانى الله من حب الرمان، فلو ابتلانى به كيف أمشى وأبحث عنه وأنا على هذه الحالة؟ فرجع واستغفر ربه.

وهكذا، فإن الله ـ تعالى ـ عندما يحب أحدا من عباده فإنه ينطقه ويعلمه ويهذبه، قال ـ تعالى ـ: ﴿واصطنعتك لنفسى﴾ (١)، وينوره ويعلمه، حتى إذا قام بالليل يعبده يكون أهلا للعطاء، فيقوم ويصلى ويذكر الله ـ تعالى ـ فالإناء القذر لا يوضع فيه العسل، وكذا بائع الفول لا يضعه فى الطبق القذر لأنه يغار على بضاعته، فإذا غار صاحب الفول، فكيف لا يغار صاحب الأسرار؟!..

قال الصوفية: «الامداد على قدر الاستعداد» فالله ـ تعالى ـ يطهر القلب كيف يشاء، ويختبر العبد كيف يشاء.

حديث قدسى:

يقول المولى ـ جل وعلا ـ فيما يرويه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عنه: «إن من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا المرض، ولو أصححته لأفسده ذلك، وإن من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أمرضته لأفسده ذلك، وإن من عبادى من يطلب بابا من العبادة فأسده عنه كى لا يدخله العجب، إنى أدبر عبادى لعلمى بما فى قلوبهم إنى عليم خبير» رواه الترمذى.

سبحانه.. إنه عندما يحب أحداً من عباده ويعلم أنه لو أعطاه مالا كثيرا لا بتعد عنه وفسد

(١) طه: ٤١.

حاله فيبعد عنه الدنيا، وعندما يحب أحدا يعلم أنه غنى وهو يحب الغنى ولو أفقره هرب منه وفسد حاله، فيعطيه المال، سبحانه.. حكيم فى العطاء وحكيم فى المنع، فقد يعجب بعض الناس بامرأة ويرغب فى الزواج منها، ولكن الله ـ تعالى ـ يعلم أنه لا تصلح له وتفسد عليه دينه، فيهيىء له زوجة غيرها وإن كان لا يحبها، ولكن الله ـ تعالى ـ يعلم أن بها صلاح دينه ودينا.

ومما من الله ـ تعالى ـ به على أننى كنت عام ١٣٨٤هـ متوجها إلى ليبيا فى باخرة بعد قدومى من الحج، فرأيت فى ليلة وأنا فى الباخرة أننى جالس على سرير أصلى على النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالصلاة الأولى من صلوات شيخنا ـ رضى الله تعالى عنه ـ وبجوارى سرير آخر، فرأيته ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ، وقد أقبل علىَّ وجلس على السرير الذى بجوارى، وقال ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: «جئت لأسمع منك صلاة ابن إدريس» واضطجع على السرير، فلما وصلت إلى نصف الصلاة تقريبا حدثتنى نفسى بأن أقوم وأسلم عليه ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ، فقمت وقبلت يده الشريفة، ثم مسح بيده الشريفة على وجهى وصدرى ثم أشار إلى بيده الشريفة أن أجلس وأتمم، فجلست وأكملت الصلاة، ثم قلت بعدها: يا كامل الذات، يا جميل الصفات، يا نور الحق، يا سراج العوالم، يا سيدى يا محمد، يا سيدى يا أحمد، يا سيدى يا أبا القاسم، جل كمالك أن يعبر عنه لسان، وعز جمالك أن يكون مدركا لإنسان، وتعاظم جلالك أن يخطر فى جنان، صلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليك وسلم يا رسول الله، يا مجلى الكمالات الإلهية الأعظم، فاستيقظت من منامى وأنا فرح مسرور، وبشرت إخوانى الحجاج الليبيين بهذه الرؤيا الصالحة، وتزايد حبى لصلوات شيخى ـ رضى الله تعالى عنه ـ.

وفى الروضة الشريفة:

أتى الشيخ محمد بن على السنوسى ـ رضى الله تعالى عنه ـ، ووقف أمام النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فرآه صلى الله عليه وآله وسلم، ولم ير أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ معه، فقال له: يا رسول الله.. أين أبو بكر؟ فقال: مع سيدك الشفاء ـ يعنى السيد أحمد بن إدريس ـ رضى الله

تعالى عنه ـ، فسمى بالشفاء من عند رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

الصلاة الأولى من صلوات سيدى أحمد بن إدريس:

والتى كانت تقرأ عندما دخل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

(اللهم صل على طامة الحقائق الكبرى، سر الخلوة الإلهية ليلة الاسرا، تاج المملكة الإلهية، ينبوع الحقائق الوجودية، بصر الوجود وسر بصيرة الشهود، حق الحقيقة العينية، وهوية المشاهد الغيبية، تفصيل الاجمال الكلى، الآية الكبرى فى التجلى والتدلى، نفس الأنفاس الروحية، كلية الأجسام الصورية، عرش العروش الذاتية، صورة الكمالات الرحمانية، لوح محفوظ علمك المخزون، وسر كتابك المكنون، الذى لا يمسه إلا المطهرون، يا فاتحة الموجودات، يا مجمع بحرى الحقائق الأزليات والأبديات، يا عين جمال الاختراعات والانفعالات، يا نقطة مركز جميع التجليات، يا عين حياة الحسن الذى طارت منه رشاشات، فاقتسمتها بحكم المشيئة الالهية جميع المبدعات، يا معنى كتاب الحسن المطلق الذى اعتكفت فى حضرته جميع المحاسن لتقرأ حروف حسنه المقيدات، يا من أرخت حقائق الكمال كلها برقع الحجاب دون الخلق، وأجمعت ألا تنظر لغيره إلا به من جميع المكونات، يا مصب ينابيع ثجاج الأنوار السبحاتيات الشعشعانيات، يا من تعشقت بكماله جميع المحاسن الإلهيات، يا ياقوته الأزل، يا مقناطيس الكمالات، قد أيست العقول والفهوم والألسن وجميع الادراكات أن تقرأ رقوم مسطور كنهايتك المحمديات، أو تصل إلى حقيقة مكنونات علومك اللدنيات، وكيف لا يا رسول الله، ومن لوح محفوظ كنهك قرأ المقربون كلهم حقيقة التجليات، صلى الله وسلم عليك يا زين البرايا، يا من لولا هو لم تظهر للعالم عين من الخفيات).

قال سيدى ابن عطاء الله السكندرى ـ رحمه الله ـ: «إن فى السيادة لسرا ينفع لمن واظب على تلك العبادة».

وكلمة «سيدنا محمد» فيها سر يظهر للمداوم عليها، ففى المستقبل يظهر أمامك النبى ـ

صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وعندما تقول: «اللهم صل على محمد» تستحيى ولا يفرح قلبك كما يفرح بقول «سيدنا» والنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو سيد السادات، وربنا ـ سبحانه وتعالى ـ مدحه فقال: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (١).

وقد قال الله ـ تعالى ـ فى أثناء مخاطبته الأنبياء: يا نوح، يا آدم، يا يحيى، يا زكريا ...، ولم يقل: يا محمد، بل قال: يا أيها النبى، يا أيها الرسول، فإذا كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد شرفه وكرمه، أفلا تقول أنت له «سيدنا»؟ .. أما الأمية فهى دليل صدقه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فهو الذى علم العلماء وعنده علوم الأولين والآخرين.

﴿إن يوم الفصل كان ميقاتا﴾ : الميقات: الموعد، فيا أيها المسلمون، يا من تصلون وتصومون اصبروا على مشقة الطاعة حتى تدخلوا الجنة، ويا أيها الكفار المتكبرون بينى وبينكم الفصل فى يوم القيامة الذى هو ميقات للمسلمين والصالحين ليدخلوا جنتهم، وميقات للفسقة الفجرة ليدخلوا النار، يوم القيامة ينفخ إسرافيل فى الصور، وتكون الأرواح فى مكان اسمه الصور ومعنى «ينفخ» أى ينادى، كما روى البخارى ومسلم عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أن إسرافيل ينادى فى الصور: أيتها العظام النخرة، والأجساد المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. فينادى أولا على العظام، ثم الأجساد، ثم الشعور، فيجتمع جميع جسد الإنسان، وهذا النداء يسمعه كل ميت ولو صار ترابا فإنه يرجع مرة أخرى كيوم دفنه فى أقل من طرفة عين، ويكون العالم كله كرجل واحد، وتنتشر فى الأرض الأجساد العارية فوق القبور.

أما النفخة الثانية فى قوله تعالى: ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ (٢). فهى للأرواح ينادى عليها فتجيب فيقال لها: اذهبى إلى جسدك فتذهب إلى الجسد كلمح البصر، ويعود الإنسان إنسانا.

روى عن عائشة أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «يبعث الناس يوم القيامة

---

(١) القلم: ٤.
(٢) الزمر: ٦٨.

عرايا، فقالت عائشة: أو كذا النساء مع الرجال يا رسول الله؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: واعائشة.. لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» رواه النسائى.

﴿يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا﴾ يعنى: جماعات، جمع فوج.

﴿وفتحت السماء فكانت أبوابا﴾ تفتح لنزول الملائكة منها، ثم تطوى كطى الحصير وتنزل إلى الأرض؛ لأن الملائكة الذين يسكنونها قد نزلوا: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾(١).

أما عن الجبال فيقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وسيرت الجبال فكانت سرابا﴾(٢). وقد كانت ثقيلة ثابتة قوية مثبتة فى الأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا، لاترى فيها عوجا ولا أمتا﴾(٣)، ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾(٤)، أى كالصوف المنفوش فيجعلها كالتراب، قال تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب﴾(٥)، ويحملها الهواء حتى تزول عن أعين الناس.

من يكرهون سيدنا الحسين ـ رضى الله تعالى عنه ـ:

هم الذين ينطبق عليهم قول الشاعر:

كناطح صخرة يوما ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾، ﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾(٦): النار تحت الأرض السابعة، فتطلع لأرض المحشر كالفارس المبارز الذى يبحث عمن يبارزه ﴿وبرزت الجحيم

---

(١) الزمر: ٦٧.
(٢) النبأ: ٢٠.
(٣) طه: ١٠٥ ـ ١٠٧
(٤) المعارج: ٩.
(٥) النمل: ٨٨.
(٦) النازعات: ٣٦.

لمن يرى﴾ ، انظروا وشاهدوا يا من آمنم وصدقتم، فيزدادون إيمانا ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ (١) أي ناظرها وشاهدها.

هناك آيتان: الأولى قوله تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ (٢)، ﴿لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون﴾ (٣)، والثانية: قوله تعالى: ﴿وإن منكم الا واردها﴾ ،قال العلماء: لا تعارض بين الآيتين، فجهنم كالبحر، والصراط كالجسر الممدود عليه، فلا يسمعون صوتها، وهم عنها مبعدون، والورود ليس معناه الدخول ولكن معناه: المرور بجوار الشيء، قال تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ (٤): يعني مشى بجواره.

العاصي: إما أن يتوب الله عليه أو يرحمه، والكافر له جهنم.

﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾، ﴿للطاغين مآبا﴾ الطاغون قسمان: إما كفار وإما عصاة مؤمنون، فالكفار يدخلون جهنم ويخلدون فيها، والعصاة يمكثون في النار كل منهم على قدر معصيته.

﴿لابثين فيها أحقابا﴾ أي الكفار، يمكثون فيها زمنا طويلا لا نهاية له، وأما عصاة المؤمنين فيدخلون على حسب المعاصي التي لا يتوب الله عليهم فيها ثم يخرجون ثانية.

﴿لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا﴾ ، بردا: نوما، ولا شرابا: أي ماء باردا.

﴿لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون﴾ (٥)، أي: من شدة الصراخ والعويل.

﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ (٦):

---

(١) مريم: ٧١.
(٢) الأنبياء: ١٠١.
(٣) الأنبياء: ١٠٢.
(٤) القصص: ٢٣.
(٥) الأنبياء: ١٠٠.
(٦) الأعراف: ٥٠

كيف ينادون؟ ينظر أهل الجنة - وهم فى نعيمهم - من شرفات القصور، فيرون أهل النار ويراهم أهل النار فينادونهم: ﴿أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾، فيرد عليهم أهل الجنة قائلين: ﴿إن الله حرمهما على الكافرين﴾ (١).

ثم ينادى أهل الجنة على بعض أهل النار، مثل أبى جهل وعتبة وغيرهما: ﴿ما سلككم فى سقر﴾ ؟ ﴿قالوا لم نك من المصلين، ولم نك نطعم المسكين، وكنا نخوض مع الخائضين، وكنا نكذب بيوم الدين، حتى أتانا اليقين﴾ (٢).

ويقول بعض من نجا من النار لقرينه الذى كان معه فى الدنيا، حينما يراه فى النار: ﴿تا الله إن كدت لتردين﴾ (٣) ﴿ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين﴾ (٤)، كنت تزين لى المعاصى والخطايا، وتريدنى معك، فانظر الآن: أين أنا وأين أنت؟ ..

والملائكة تقلب العاصى فى النار وتقول له: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ (٥)، على سبيل التهكم والاستهزاء، قال المفسرون: يقال له ذلك على زعمه، أى: أنه كان يقال لك ذلك فى الدنيا، وأنت كذاب وقومك كذابون، فلو كنت حقا عزيزا كريما لما دخلت النار.

والكافر حينما يأخذ كتابه بشماله يقول: ﴿يا ليتها كانت القاضية﴾ (٦)، وكذلك كل من يأخذ كتابه بشماله ينوح ويضرب وجهه بيده، فيقول الله لملائكة العذاب: ﴿خذوه فغلوه﴾ (٧) أى: بالسلاسل، ﴿ثم الجحيم صلوه (٨). ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه﴾ (٩).

---

(١) الأعراف: ٥٠.
(٢) المدثر: ٤٣ - ٤٧.
(٣) الصافات: ٥٦.
(٤) الصافات: ٥٧.
(٥) الدخان: ٤٩.
(٦) الحاقة: ٢٧.
(٧) الحاقة: ٣٠.
(٨) الحاقة: ٣١.
(٩) الحاقة: ٣٢.

أما المؤمن فإنه يأخذ كتابه بيمينه: ﴿فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه﴾ (١) أي: تعالوا خذوا كتابي، وانظروا لتعرفوا أني من أهل الجنة، ﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ (٢)، أي في الدنيا والظن هنا بمعنى اليقين.

أول من يدخل الجنة بغير حساب:

سيدنا أبو بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ، وأول من يأخذ كتابه بيمينه سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فاللهم اجعلنا من أهل اليمين.

ومن حكمة الله تعالى قوله: ﴿وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ أي كتابه، ﴿ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ (٣).

قال العلماء: إن الكتب في خزانة تحت العرش، فتأتي ريح فتطير الكتب من الخزانة فيتعلق كل كتاب برقبة صاحبه، مسلما كان أو كافراً، إنسا أو جنا، لا يمد يده إليه، ثم تأتي الملائكة صفوفا، وتخرج الكتاب من رقبة المؤمن، وتعطيه له في يمينه، والكافر يخرق صدره ويدخل يده الشمال في صدره حتى تخرج من وراء ظهره، فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره، ومعنى «منشورا» أي ظاهرا لكل من يقرؤه، وربنا يعلم الجميع القراءة والكتابة، حتى لو كان أخرس أو أصم أو أعمى..

ثم ختم الشيخ الدرس بهذه الأبيات:

كأنما اللؤلؤ المكنون في صدف

من معدني منطق منه ومبتسم

منزه عن شريك في محاسنه

فجوهر الحسن فيه غير منقسم

---

(١) الحاقة: ١٩.
(٢) الحاقة: ٢٠.
(٣) الاسراء: ١٣ ـ ١٤.

كالزهر في ترف والبدر في شرف

والبحر في كرم والدهر في همم

كأنه وهو فرد في جلالته

في عسكر حين تلقاه وفي حشم

لا طيب يعدل تربا ضم حضرته

طوبى لمتشق منه وملتثم

ومن تكن برسول الله نصرته

إن تلقه الأسد في آجامها تجم

ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه

وجدته لخلاصي خير ملتزم

* * *

ومن تكن يا رسول الله ناصره

فالله حافظه من كل منتقم

يا خير من دفنت بالقاع حضرته

فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه

فيه العفاف وفيه الجود والكرم

أنت الحبيب الذي ترجى شفاعته

عند الصراط إذا ما زلت القدم

الـــدرس السابع

فى تفسير قوله تبارك وتعالى: ﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى. وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنة هى المأوى﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا﴾ (٢). الماء الذى ينزل من السماء يحيى الأرض، وبه ينبت النبات الذى هو رزق للأجساد والأشباح، فهو رزق من الأرض، لما خرج من الأرض ﴿منها خلقناكم﴾ ومنها رزقكم، ﴿وفيها نعيدكم﴾ نعيد أجسامكم لأرواحكم، فما خرج من الأرض يعود إليها، وما نزل من السماء يصعد إليها، وهو الروح.

والقرآن ـ أيضا ـ رزق من السماء، ولكنه رزق للأرواح، فهى تنتفع بما نزل من السماء، من الأنوار والحكم، والمواعظ والأسرار.

وقد جمع القرآن المواعظ البالغة، والحكم النافعة، والتشريع المطابق للواقع.

فمن خلق هو الذى قد شرع، فجاء شرعه موافقا لغرائز مخلوقاته، كما وافق رزقه من الأرض الأجسام التى خلقها، بما فى ذلك من مواد: حديدية، وجيرية، ودهنية.. إلخ.

ومن هنا أيضا وافق ما نزل من السماء الأرواح التى نزلت من السماء، وكذا الجسد، فما من تشريع له إلا وهو مقبول مفيد.

فمثلا: نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن الزنا، ولا يرضى إنسان عاقل أبدا، أن يرى الزنا فى أمه أو أخته أو ابنته، فكل العقول بفطرتها تكره الزنا، فلذلك حرم رب العقول الزنا.

وكذلك تأبى النفوس بطبعها الاختلاء بين المرأة والرجال الأجانب عنها فحرم الله ـ تعالى ـ ذلك.

---

(١) النازعات: ٣٧ ـ ٤١.

(٢) غافر: ١٣.

والعقول بطبعها شحيحة بالمال، حريصة عليه، فلا ترضى أن يأخذ منه إنسان شيئا بلا عمل، أو مقابل، فحرم الله ـ تعالى ـ الربا، لأنه مال يؤخذ من غير عمل ولا أجر، فحرمه الله ـ تعالى ـ.

والمال الذى يؤخذ بالسرقة والغيلة[1] والانتهاب تأباه النفس، فهو محرم.

وكذا اختلاط النساء بالرجال مكروه من الطرفين، فمثلا المرأة الحرة العفيفة لا تقبل الجلوس مع الرجال، والرجل العاقل لا يرضى أن يكون مجنونا بين الناس.

وكذا: حرم الله الخمر، وقد سميت خمرا: من الخمار الذى يستر وجه المرأة، فالخمر تستر العقول عن الثبات والتعقل، فسميت خمرا.

فالشريعة كلها موافقة للطبائع والعقول، وهكذا، فمن خلق العقل والروح شرع لهما، ولكن العبد المخلوق إذا أتى بقانون ـ من عنده ـ فلابد أن يأتى مخالفا لتلك العقول والأرواح، فهو لا يدرى حقيقتها، وهذا ما يتطلب أن يكون عليه المشرع من دراية بأحوال من شرع لهم.

قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾[2]. حكيم بما يصلح العباد، عليم بأحوالهم، وغرائزهم وطبائعهم.

ويشترط فى المشرع ألا يموت، فإذا مات كان كذابا، لأنه لكى يستعبد المشرع العباد يجب أن يكون حيا طالما شرعه موجود.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى﴾[3]. فهو حى حاضر ﴿إننى معكما أسمع وأرى﴾[4].

هذا هو المشرع ـ سبحانه ـ فلعنة الله على المشرعين من بعده، ومن دونه .. ﴿واتخذوا

---

(١) أى خديعة وخلسة عن الناس.

(٢) النمل: ٦.

(٣) طه: ١٤.

(٤) طه: ٤٦.

من دون الله آلهة لعلهم ينصرون﴾ (١). آلهة للثقافة والمدنية والحضارة والتقدم فى الآراء والعقول والقوانين، فلعلهم ينصرون: ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ (٢) إذا أراد الله خذلانهم ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ (٣).

هؤلاء سماهم الله آلهة، لأن من صفات المشرع أن تهتدى به، ولما ذهب المسلمون إلى الكافرين، وأرادوا منهم الحضارة كانوا كمن اتخذوا من دون الله آلهة للحكمة والنور والمعرفة.

فلا إله إلا الله، ولا يحيى إلا الله، ولا يغنى إلا الله، ولا يفقر إلا الله، ولا ينفع إلا الله، ولا يضر إلا الله، .. فكل من ادعى دعوى، وأراد أن ينصر من دون الله، فليأذن بحرب منه ـ تعالى ـ.

فإن كنت فارسا فكن كعلى * وإن كنت شاعرا فكن كابن هانى
فكل من ادعى لما ليس فيه * كذبته شواهد العيان

جهنم لها سبعة أبواب، لكل باب منهم جزء مقسوم، ولا تسأل: أين الجنة وأين النار؟

يقول الشيخ الدردير ـ رحمه الله ـ:

والنار حقا أوجدت كالجنة * فلا تمل لجاحد ذى جنة

سأل الزمخشرى الغزالى عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (٤) فأجابه بقوله:

إذا استحال أن تعرف نفسك: كيف هى أو أين، فكيف تسأل عن المولى بـ «كيف» أو «أين» .. ثم أنشأ يقول:

أين منك الروح فى جوهرها
هل تراها فترى كيف تجول

(١) يس: ٧٤.
(٢) يس: ٧٥.
(٣) آل عمران: ١٢٦.
(٤) طه: ٥.

وقال الشيخ محمد عبده فى تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿إنه لقول رسول كريم * ذى قوة عند ذى العرش مكين * مطاع ثم أمين﴾ (١): من هذا يعلم أن جبريل أفضل من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ولم يدر معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ (٢)، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (٣)، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (٤).. إذن كيف فسرت كل هذه الآيات؟..

وأيضا ما قاله فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا﴾ (٥). قال: هذا كناية عن سرعة البعث، التى هى كأنها نفخة فى البوق.

وهذا خطأ كبير وغلط، لأن الله ـ تعالى ـ ما أراد الكناية، بل أراد «الصور» حقيقة، وأراد أن الملك ينفخ فى الصور، ولكن النفخ كلام يلقيه سيدنا إسرافيل فى الصور، الذى كغرفة الاذاعة، فيقول: «أيتها العظام النخرة والأجساد المتمزقة، والشعور المتفرقة: إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، فيجمع الله الشعور والأجسام واللحم المتمزق كله ليوم الفصل. هذا هو النفخ فى الآخرة.

أما النفخ فى الدنيا فكما جاء فى الحديث: «ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح»، يعنى: يدخلها.

أما قوله ـ تعالى ـ: ﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾ (٦)، فالإضافة فيه للتشريف.

حكاية:

دخل قسيس على أحد الخلفاء العباسيين، وبجواره أحد العلماء، وقال: القرآن يشهد

(١) التكوير: ١٩ :٢١.
(٢) الأحزاب: ٤٥.
(٣) القلم: ٤.
(٤) النساء: ٨٠.
(٥) النبأ: ١٨.
(٦) التحريم: ١١.

على أن عيسى ابن الله، والدليل على ذلك قول الله: ﴿..وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾[1]، فالتفت الخليفة إلى العالم وقال له: عليك الإجابة، فقال العالم للقسيس: يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وسخر لكم ما فى السمٰوات وما فى الأرض جميعا منه﴾[2].. فهل الحمار والبقر من الله؟ ..

ثم قال له: وإذا أعطيتنى دينارا وقلت لى: هذا منى، فهل هو من جلدك وعظمك ولحمك؟ قال: لا، بل من عندى، ـ أى مما أملكه ـ، فقال العالم: وكذلك الروح.

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه» رواه أبو داوود والإمام أحمد.

أى البيان، والمراد به السنة الشريفة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾[3].

الحساب يوم القيامة يكون فى أرض جديدة، فالله ـ تعالى ـ يأبى أن يحاسب الناس فى أرض قد عصوه فيها، وفى البداية يظهر الحق ـ تعالى ـ ويقول: أنا الديان، ويكون هذا بعد البعث، وقبل دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

سألت السيدة عائشة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسمٰوات﴾[4] فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ فقال: «على الصراط».

المسند، ومسلم

روى البخارى فى صحيحه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «من قال لا إله إلا الله، ومدها غفرت له أربعة آلاف ذنب من الكبائر». رأيت هذا الحديث بعينى رأسى مكتوبا فى صحيح البخارى، وليس هذا على الله ببعيد، فلقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ويعفو عن كثير﴾

---

(١) النساء: ١٧١.
(٢) الجاثية: ١٣.
(٣) النحل: ٤٤.
(٤) إبراهيم: ٤٨.
(٥) الشورى: ٣٠.

بدون استغفار، وإذا استغفر فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والله ـ تعالى ـ أرحم بالعبد من أمه وأبيه، قال الإمام على كرم الله وجهه:

«الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

حكـــاية:

قابلت فى شارع الأزهر ـ فى الميدان ـ أحد المستشرقين فقال لى: لنا الفضل عليكم، فقد علمناكم كيف تضعون الجنود فى الطريق لتنظيم حركات السيارات. فقلت له: لا.. إن هذا من القرآن، فسألنى: كيف؟ فقلت له: يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار**﴾ (١).

ولقد تعلمنا من هذه الآية أن ربنا سبحانه وتعالى وضع جنودا من الملائكة يمنعون الشمس من ادراك القمر، إذ لو أدركت الشمس القمر لحدث اختلال فى الكون: كسوف فى الشمس أو خسوف فى القمر، فقال المستشرق: إن القرآن لم يتعرض للغواصات، فقلت له: كذبت، وأنت جاهل باللغة العربية، لأن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿**والفلك تجرى فى البحر بأمره**﴾ (٢)، ولم يقل على البحر بل قال: فى البحر.

بين كرومر ومحمد عبده:

سأل كرومر الشيخ محمد عبده: هل كل شىء فى القرآن؟ فقال: نعم، فقال كرومر: كم رغيفا فى كيلة الدقيق؟، فدعا الشيخ محمد عبده غلاما له، وأمره بأن يحضر الخباز وسأله، فأجابه عن العدد، فقال الشيخ لكرومر: فيها كذا.. فقال كرومر ـ محتجا ـ: أنت سألت الخباز، فرد الشيخ محمد عبده قائلا: يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ **فقال كرومر متعجبا**: أنت رجل ذو عقل كبير!..

فإذا اجتهد المجتهد وأصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر.

---

(١) يس: ٤٠. (٢) الحج: ٦٥.

ولقد ذهب الشيخ محمد عبده إلى أوروبا، فلما دخل «اللوكاندة» سألته صاحبتها: من أين أنت؟ فقال: من مصر، فردت قائلة: الرجل المصرى يتزوج كثيرا، فلم يرد عليها، وكان كلما حان وقت الطعام يطلب «شوربة» صباحا وظهرا ومساء ! فقالت له: أنت تطلب «شوربة» دائما، ألا تطلب شيئا غير «الشوربة»؟

فقال لها: هذا هو جوابى عن كلامك السابق، فالإنسان لابد أن ينوع فى الطعام وكذلك فى الزواج.

وسألوه هنالك: لماذا لا تأكل لحم الخنزير؟ فقال: أجيب على سؤالكم بعد إجراء تجربة بسيطة، ثم أحضر خمس نعاج، وأدخلها حجرة ومعها خروف، وأحضر خمس إناث من الخنازير ومعها خنزير ذكر، وأدخلها أيضا حجرة، ثم بعد ذلك بيوم أحضر خروفا وأدخله الحجرة التى فيها النعاج، وأحضر خنزيرا وأدخله فى الحجرة التى فيها الخنازير: أما الخروف القديم فقد ناصب الجديد العداء، وأشبعه نطحا، ومنعه من الدخول، وأما الخنزير القديم فأخذ يساعد الجديد فى اعتلاء إناث الخنازير، فقال لهم الشيخ محمد عبده: هكذا كما ترون: فمن يأكل لحم الخروف يكون قلبه فيه غيرة على عرضه وشرفه ودينه، وأيضا: من يأكل لحم الخنزير يكون قلبه كالخنزير تماما.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى﴾ (١) الطغيان: مجاوزة الحد، قال ـ تعالى ـ: ﴿إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية﴾ (٢).

(فأما من طغى) على التشريع الالهى، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «إن الله ـ تبارك وتعالى ـ فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها» رواه الدارقطنى.

﴿فإن الجحيم هى المأوى﴾ : أى أن الله ـ تعالى ـ عنده صفتا الرضا والغضب، فإذا رضى

(١) النازعات : ٣٧ ـ ٣٩.
(٢) الحاقة: ١١.

عن عبده أدخله الجنة، وإذا غضب فالنار لمن غضب عليه، وقد يستمر الغضب عليه، وقد يستمر الغضب إلى أن يدخله النار، أو يستمر الرضا فيدخله الجنة.

﴿وآثر الحياة الدنيا﴾ أى: قدم كل شىء على الجنة، وصار يجرى وراء ملذاته، فتقديمه للدنيا وحبه لها هو الذى أطغاه وجعله يطغى.

حكـــاية:

حكى شيخ مغربى فقال: كانت فرنسا تريد دخول «شنقيط»، فقال قسيس منهم: امتحنوا دينهم أولا وامتحنوا علماءهم: فإن كان دينهم قويا فهم أشداء، والا فاهجموا عليهم.. فأرسلوا جواسيسهم إلى البلدة، وصنعوا طعاما للعلماء قبل أذان العصر بدقائق، فأذن لصلاة العصر وهم يأكلون، فلم يقوموا للصلاة فأخروها إلى أن دخل وقت المغرب..

عند ذلك قال القسيس: اهجموا عليهم فإنهم لم يتمسكوا بدينهم، وكانت لهم الغلبة، لأن العلماء فرطوا فى دينهم، فما بالك بعامة الناس، فإنهم أكثر تفريطا منهم.

حكـــاية:

أحضر رجل ذئبا صغيرا، وصار يربيه إلى أن كبر، وفى يوم خرج الرجل وعاد ليجده قد افترس نعجة من نعاجه، فقال له: من أنبأك يا «ديب» أن أباك «ديب».

إذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب يفيد ولا أديب

قوله ـ تعالى ـ: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى﴾ (١).

الخوف من الله واجب شرعا، والخوف على أقسام: تخاف من السبع ولكنك تكرهه، وتخاف من أبيك ولكنك تحبه، وأنت تحب الله ـ تعالى ـ مع أنك تخافه..

والخوف: صفة من صفات المؤمن، ومن صفات الملائكة ـ أيضا ـ قال ـ تعالى ـ:

(١) النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ (١).

﴿خاف مقام ربه﴾ : الكلام للمؤمن، أى خاف مقام ربه العالى، لا لشىء إلا لإجلاله، وهو يخاف منه ولكنه يحبه، والخوف والمعصية لا يجتمعان.

﴿خاف مقام ربه﴾ لم يقل: خاف عذاب ربه، بل مقام وعظمة الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ (٢).

قال الإمام مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ: الخوف: اضطراب القلب من شدة الفزع، ويقابله الرجاء.

أما أن تعمل عمل أهل النار وترجو دخول الجنة فإن هذا طمع منك.

أما الإمام الغزالى فقال: يغلب العبد الرجاء على الخوف، حتى لا يقنط من الرحمة.

وقد قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «أنا أعلمكم بالله».

رواه البخارى

﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى﴾ دليل الخوف هو النهى: أى نهى النفس عن الهوى، وإذا ادعى أحد الخوف من الله، ولم يقم الدليل فلا خوف له.

«الهوى»: قال ـ تعالى ـ: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ (٣)، ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ (٤): فالهوى من مطالب النفس.

والشيطان مثل البائع: حين تعرض عن شىء يقرب إليك آخر، أما النفس فهى تتشبث بالشىء كما يتشبث القط بالفأر إذا أمسكه، مثل قول القائل: أنا أحببت فلانة ولابد أن أتزوجها، فهوى النفس أشد من وسوسة الشيطان، قال عليه الصلاة والسلام: «أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك» رواه البيهقى فى كتاب الزهد.

---

(١) النحل: ٥٠.
(٢) غافر: ١٥.
(٣) النجم: ٢٣.
(٤) يوسف: ٥٣.

والعلاج: هو الخوف من مقام الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء» (١).

يتم به الشفاء، فعلاج هوى النفس هو النهى عن أوامر السوء ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾.

وأنفس الأنبياء معصومة، فهى لا تأمر بالسوء أبدا، وسميت النفس كذلك لنفاستها، فهى لا تباع ولا تشترى ولا تحس ولا ترى، ولا تدرك فى الحياة أو الممات.

نصب الهوى شركا إلىّ فصادنى * فوقعت فى شرك الهوى أتقلّب
كعصفورة فى كف طفل يطيرها * تذوق مرار الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذو عقل يرقّ لحالها * ولا الطير مطلوق الجناحين يهرب

هذا الكلام ينطبق على الروح..

حكاية عن الرحلة فى طلب العلم:

سمع الإمام أحمد أن رجلا من وراء النهر عنده أحاديث ثلاثية (أى يرويها ثلاثة رواة فقط)، فرحل إليه، فوجد شيخا يطعم كلبا، فسلم عليه، فرد عليه السلام، ثم اشتغل الشيخ بإطعام الكلب، فوجد الإمام أحمد فى نفسه، لأن الشيخ أقبل على الكلب ولم يقبل عليه، فلما فرغ الشيخ من طعمة الكلب، التفت إلى الإمام أحمد وقال له: كأنك وجدت فى نفسك إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك، قال: نعم، فقال الشيخ: حدثنى أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله منه رجاءه يوم القيامة، فلم يلج الجنة» وأرضنا هذه ليست بأرض كلاب، وقد قصدنى هذا الكلب، فخفت أن أقطع رجاءه، فيقطع الله رجائى منه يوم القيامة، فقال الإمام أحمد رضى الله تعالى عنه: «يكفينى هذا الحديث لأنى وجدتك عاملا به»، ثم رجع.

حكاية أخرى:

عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: بلغنى حديث عن رجل سمعه من رسول

(١) رواه البخارى.

الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فاشتريت بعيرا ثم شددت عليه رحلى فسرت إليه شهرا حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبواب: جابر على الباب، فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه فاعتنقنى واعتنقته فقلت: حديثا بلغنى عنك أنك سمعته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه، قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة ـ أو قال: العباد ـ عراة غرلا بهما، قال: قلنا: وما بهما؟ قال: ليس معهم شىء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب، أنا الملك أنا الديان، ولا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه، ولا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة، قال: قلنا: كيف؟ وإنا إنما نأتى الله عزوجل عراة غرلا بهما، قال: بالحسنات والسيئات» رواه الإمام أحمد فى المسند. ومعنى غرلا أى غير مختونين.

حديث: «اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين» رواه الترمذى وابن ماجه.

ومعنى المسكين: المتمسكن المتواضع الخاشع الهين اللين طيب الكلام والأفعال، ولا فحش عنده.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه» رواه الشيخان.

* * *

الـــدرس الثامن

فى تفسير قوله تعالى:

﴿عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى. أو يذكر فتنفعه الذكرى. أما من استغنى. فأنت له تصدى. وما عليك ألا يزكى. وأما من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهى. كلا إنها تذكرة. فمن شاء ذكره﴾.

(صدق الله العظيم)

سمعت الخطيب يقرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن، أو آبائهن، أو آباء بعولتهن، أو أبنائهن، أو أبناء بعولتهن، أو إخوانهن أو بنى إخوانهن، أو بنى أخواتهن، أو نسائهن، أو ما ملكت أيمانهن، أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ (١).

وربنا ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾ (٢). أى لم أترك حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا تكلمت فيها كما ينبغى، ولا أحد يشرع معى، ولا أحد يتكلم معى، خلقت الخلق وأنا أعلم بشهواتهم وغرائزهم وأحوالهم، فشرعت لهم شرعا يليق بهم، وبأنفسهم وطباعهم فلا محلل ولا محرم بعدى.

ولقد فصل الله ـ تعالى ـ كل شىء، حتى وضع الخمار، كيف تضعه المرأة على رأسها، فمعنى «وليضربن» أى تلف المرأة الخمار، والخمار: هو الطرحة، والشبارة، والمنديل، أى تلفه حتى يغطى ثدييها «على جيوبهن» أى فتحة الصدر، لماذا يا رب؟ لتخفى شعرها وثدييها وصدرها، لأنها من العورة، سبحان الله !.. فرق بين امرأة عرفت الحق ونفذت الأوامر

(١) النور: ٣١.

(٢) الأنعام: ٣٨.

وامرأة تلبس زى باريس، تراها عارية الشعر، عارية الصدر:

سارت مشرّقة وسرت مغرّبا * شتان بين مشرّق ومغرّب

﴿يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ (١)، والجلباب: هو الملاية، وفى الصعيد: النشرة، وفى السودان: التوب.

«يدنين»: أى تنزله على وجهها من فوق رأسها، ثم تضم طرفيه، فلا تظهر إلا عينها.

وهذا يقفل الباب ويسده أمام المتسكعين الذين يريدون معاكسة النساء، فتبدو المرأة التى غطت جسمها ووجهها، كالعفريت الأسود الذى يخيف، وبخاصة فى الليل، فإذا جاء اللص ليسرق وجد الخزانة مقفلة، ولو كانت المرأة متبرجة تلبس زى باريس، فلو صادفها رجل من المتسكعين، لكان مثل شيطان لقى شيطانة.

سبحانك يا رب.. علمتنا كل شىء، حتى الملاية والطرحة، وكيف يرتديها نساؤنا، لماذا يا رب؟.. حتى لا يعرفها أحد فيؤذيها بالكلام ويقول: زوجة فلان تتبختر فى الشوارع.

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «رحم الله امرءا جب الغيبة عن نفسه» والمعنى منع الغيبة عن نفسه.

فهى قد سترت نفسها، وأنا عندما أشاهد امرأة هكذا، أقول: سترك الله فى الدنيا والآخرة، لأنك سترت الإسلام.

سبحان الله !.. ليس اللبس فقط، بل أيضا علمها الله كيف تسير وتمشى على الأرض، فلا تدعها أيها الرجل تضرب الأرض برجليها، ﴿ولا يضربن بأرجلهن﴾ على الأرض ﴿ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ الزينة: الثدى والفخذ، فإذا ضربت برجلها الحديد والذهب يشخشخ، والفخذ يظهر، ويحملق الرجل بعينيه فيها، كنظرة القط إلى الفأر، فالقط إذا سمع صوت الفأر لمعت عيناه، وكذلك المرأة إذا خبطت على الأرض برجلها سمعها الرجل، وقد يمشى

(١) الأحزاب: ٥٩.

وراءها، وترى إحداهن تحمل سلسلة مفاتيح وتلعب بها وكأنها تقول: انتبه يا رجل هذه أنثى تسير، فتعال انظر إليها !.. قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «أيما امرأة استعطرت فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهى زانية» رواه النسائى وأحمد.

وليس معنى الزنا ههنا الفعل الذى تستحق به إقامة الحد عليها من جلد أو رجم.

وكانت النساء البغايا فى زمن الجاهلية تسمى الواحدة منهن صاحبة الخيمة الحمراء، فإذا خرجت تعطرت ووضعت الطيب على جسدها، فتسير والرائحة تفوح منها، فمن شمها عرف ذلك منها، فتبعها الراغبون فيها حيث تسير.

والمسلمة التى تفعل ذلك تتشبه بها وهى زانية، وليس المعنى أن المرأة التى تتطيب تكون زانية ويقام عليها الحد، كما جاء فى الحديث: قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» رواه ابن ماجه.

فليس المعنى أنهم قد كفروا، فمثلا عندما يلبس الرجل بدلة وبرنيطة، فالناس يقولون له: سعيده يا خواجه !!، فليس المعنى أنه خواجه فعلا، ولكن المقصود أنه متشبه به.

فمعنى الحديث: التشبه بالكفار فى أفعالهم، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «من تشبه بقوم فهو منهم» رواه أبو داود.

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لا تشبهوا باليهود ولا النصارى» (١).

لأن لله ـ تعالى ـ فى الأرض أحبابا وأعداء، فمن تشبه بالأحباب أحبه الله، ومن تشبه بالأعداء أبغضه الله، أما الصالحون فهم القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم، فإذا نزلت الرحمة عليهم نال جليسهم حظه منها، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: « صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» رواه مسلم.

(١) رواه الترمذى .

«مائلات»: عن الدين وعن أمر الله ورسوله، فتركن الحجاب وذهبن إلى التبرج، والمائل: الذى يحيد عن الطريق، وربنا ـ سبحانه وتعالى ـ سمانا: حنفاء، قال تعالى: ﴿حنفاء لله غير مشركين به﴾(١).

والحنيف: هو المائل، من تحنف، يتحنف، والتحنف: بمعنى التعبد، أى مال عن الكفر إلى عبادة الله تعالى، «مميلات» من نظر اليهن، لماذا؟ بالطبيعة والفطرة.

« على رؤوسهنَّ كأسنمة البخت العجاف» مفتونات، فتنهن الشيطان، ووسوس لهن، ففتنهن عن أمر الله ـ تبارك وتعالى ـ ومفتون من يعجبه حالهن، فإذا قالت البنت: يا أبت أنا اشتريت فستانا، ويقول لها أبوها: مبارك يا ابنتى، فستان جميل !.. فهذا الرجل مفتون، سواء كان أبا أو زوجا أو ولى أمر أو وصيًا، لماذا؟ لأنه لا يعرف الحلال والحرام، فلماذا يقول لها: مبارك؟ لأن الشيطان فتنه عن أمر ربه، وأحب أن يفعل ما يبغضه ربه، فماذا بعد ذلك، لقد اتسع الخرق على الراقع، فالخياط إذا جاءوا له بثوب يرقعه، ووجد أن الرقعة أصغر من الخرق فماذا يفعل؟ والله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يكلفنا إلا ما نستطيع، قال ـ تعالى ـ: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾(٢).

فإذا قال الرجل لابنته: أطيلى ثيابك يا بنية فقد أمرنا الله بذلك، فإن بنته سترد عليه وتقول له: الناس كلهم هكذا يا أبتاه! إذن فلا حل إلا السياسة والحكمة، ويمكننا أن نهدى جميع نساء العالم بالسياسة، وأنا فعلت ذلك مع ابنتى، ذهبت بها إلى السيدة وقلت لها: هذه هى السيدة زينب.. هل يظهر ذراعها؟ فقالت: لا، فقلت لها: هل تظهر ساقها؟ قالت: لا، فقلت لها: يا بنيتى.. سوف أكسوك جلبابا مثل جلباب السيدة زينب، وقد كان، وكانت إذا سألتها البنات عن هذا الجلباب الطويل، قالت لهن: هذا جلباب السيدة زينب.

فبالسياسة ينصلح كل شىء، فقل لزوجتك وبنتك: صليا وسوف آتى لكما بفستان أو فستانين أو ثلاثة، ولكن بشرط أن يكون تفصيله كذا وكذا، كما أمر الله ـ تعالى ـ.

---

(١) الحج: ٣١.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

فانظر إلى السياسة وأثرها، فالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى صلح الحديبية قال له المشركون: لن تدخل مكة إلا بشروط ! فقال النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: نعم، فلما كتب الإمام على الشروط بدأ يكتب: هذا ما تعاهد عليه رسول الله..، فقال سهيل بن عمرو: لو اعترفنا بأنك رسول الله ما قاتلناك ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فأمر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عليا أن يمحوها، فأشار إليه على ـ رضى الله عنه ـ إلى مكانها، فمحاها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيده الشريفة ، ـ سياسة من النبى صلى الله عليه وسلم ـ ولما قالوا له: من ذهب إليك مسلما رددته علينا، ومن ارتد إلينا عنك، لم نرده عليك، رضى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بذلك، وهذه سياسة منه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، لأن عدوك القوى ولو كان مشركا يجب عليك شرعا أن تسايسه.

ومن صور سياسة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وحكمته أنه دخل يوما على السيدة فاطمة الزهراء، فسألها عن حالها، فقالت: بخير يا رسول الله، ثم قال لها: أين ابن عمك؟ قالت: فى المسجد، وكان على قد دخل على فاطمة ثم خرج مغاضبا إلى المسجد، فخرج النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يمسح التراب عن ظهره ويقول: قم أبا تراب،قم أبا تراب، وكانت هذه الكنية أحب الكنى إليه كما روى البخارى، وفى رواية أنه قال له: يا على.. فاطمة بضعة منى فمن أغضبها فقد أغضبنى، فقال على: استغفر الله لى يا رسول الله، فأخذه إلى البيت وأصلح بينهما، وهكذا، أخذهما النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالسياسة.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة» رواه الشيخان.

سبب نزول سورة عبس:

جلس النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى بيته يوما، فأتاه ابن أم مكتوم ـ وهو قريب السيدة خديجة من ناحية أمه، وقيل إن أم مكتوم: جدته لأبيه ـ فأتاه وهو يكلم جماعة من صناديد قريش ويرحب بهم ويبش فى وجوههم، ليدعوهم إلى الإسلام، لا نفاقا ولا رياء، وهم: عتبة ابن ربيعة، وأبو جهل بن هشام ،والعباس بن عبد المطلب، وأبى وأمية ابنا خلف، وفى أثناء حديثه معهم قام ابن أم مكتوم وقال: يا رسول الله .. علمنى مما علمك الله، وجعل

يناديه، ويكرر النداء، ولا يدرى أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مشتغل مقبل على غيره، حتى ظهرت الكراهية فى وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لانقطاع كلامه، وقال فى نفسه: يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد، فعبس رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ .. الآيات.

وقد كان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يدعوهم بالسياسة والحكمة عملا بقوله تعالى: ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (١)، وإنما لم يرض ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمجىء ابن أم مكتوم فى هذه الساعة، لأنه قطع حديثه مع الكفار الذين يرجو إسلامهم، لأجل أن يسلم خلفهم أمم من الناس، فلذلك غضب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولم يقل له شيئا.

وقد قال العلماء: إن قطع كلام النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذنب من الذنوب، ولكن ابن أم مكتوم معذور، لأنه لا يرى القوم، فكان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يكرمه بعد ذلك، وإذا رآه يقول: «مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى» رواه الحاكم.

ومعنى: ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ أى: قطب وجهه وأعرض وقت أن جاءه الأعمى، وإنما لم يقل له رب العزة: عبست وتوليت، لما فى ذلك من الشدة عليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، ولكن أتى بها بطريق الغيبة، لا الخطاب، وهذا احترام وتوقير له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

ولقد أراد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ شيئا وهو اسلامهم، والله ـ تعالى ـ أراد شيئا، ولا يعلم الغيب إلا الله، والله ـ تعالى ـ يعلم أنهم لن يسلموا، ولن يسمعوا هذا الكلام، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ (٢)، والنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا يعلم من الغيب إلا ما علمه الله ـ تعالى ـ فظن اسلامهم، وعلى حسب ظنه أقبل

(١) النحل: ١٢٥.
(٢) يس: ١٠.

عليهم، لأنه مأمور بالإنذار، كما قال له ربه: ﴿قم فأنذر﴾[1]، فعمل ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بما يعلم، والله ـ سبحانه وتعالى ـ عاتبه بما لا يعلم، وهو أنهم لا يؤمنون، وقد عمل النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بمقتضى اجتهاده فله الثواب.

﴿وما يدريك لعله يزكى، أو يذكر فتنفعه الذكرى﴾ :أي يتطهر من الجهل بالعلم، ويحفظ القرآن الكريم، وينفع نفسه وغيره: سبحانك يا رب !.. فأنت تعلم وأنا عملت بما أعلم، والعتاب من الحبيب للحبيب.

﴿أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى﴾ يعنى: أن المستغنى عن القرآن والإيمان والدعوة للإسلام فأنت تتصدى له وتتكلم معه، فلا تخف من إعراضه، فما عليك من إعراضه من شيء.

﴿وأما من جاءك يسعى﴾ أي يمشي إلى بيتك ﴿وهو يخشى﴾ أي: وهو خائف من الله ـ تعالى ـ وخاشع له ﴿فأنت عنه تلهى﴾ أي أعرضت عنه واشتغلت بموعظة غيره، «كلا» أي لا تفعل هذا مرة أخرى. ﴿إنها تذكرة﴾ أي القرآن تذكرة ﴿فمن شاء ذكره﴾ يعنى أنت الآن في مكة والقتال والجهاد لم يفرض بعد فعليك أن تذكر فقط، فمن جاء فمرحبا به، ومن أعرض فاتركه حتى يأتيك الأمر بالقتال، كما أنزل الله ـ تعالى ـ بعد ذلك ﴿فضرب الرقاب﴾[2] وكما أنزل: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[3]، وهذا في مكة قبل الأمر بالقتال.

﴿بأيدى سفرة﴾ أي ملائكة، ﴿كرام﴾ أي كرام النفوس، ﴿بررة﴾ أي بارين بربهم بالطاعة، ﴿في صحف مكرمة﴾ صحف مكتوب فيها القرآن، «مرفوعة» في السماء، «مطهرة» من كل رجس، ولذا لا يمسها إلا المطهرون، ﴿بأيدى سفرة كرام بررة﴾.

﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾[4] أي: لا جنبا ولا بغير وضوء، فإن هذا حرام، وقد قال المالكية:

---

(١) المدثر: ٢.
(٢) محمد: ٤.
(٣) الكهف: ٢٩.
(٤) الواقعة: ٧٩.

يحرم على الرجل أن يحمل الصندوق الذى فيه المصحف إذا كان جنبا، أو محدثا حدثا أصغر، ولكن يجوز له: أن يمس الصندوق، أما الشافعية، فإنهم يحرمون مس الصندوق أو الكرسى الذى عليه المصحف.

وكذلك النساء ينطبق عليهن هذا الحكم، أى لا تمسه المرأة إلا وهى طاهرة، فمعنى الآية: لا يمسه إلا المطهرون والمطهرات، ولكن إذا كانت حائضا وكانت تعلم الأطفال القرآن أو تحفظه جاز لها مس المصحف والألواح للتعليم، فالمس للتعليم جائز، وللتلاوة التعبدية لا يجوز.

أما إذا كان الرجل يحفظ القرآن، فيجوز له أن يقرأ القرآن بلا وضوء، بغير أن يمس المصحف.

أما القراءة للتحصين كقراءة ﴿قل هو الله أحد﴾ و«المعوذتين» فيجوز هذا للجنب والمحدث.

وإذا أراد الجنب النوم فيستحب له أن يستنجى ويغسل ذكره ويتوضأ بنية الحفظ، وهذا الوضوء لا ينتقض باللمس، ولا بخروج البول أو الريح، ولا تصح به الصلاة، لذلك قال بعض الفقهاء:

إذا سألت وضوءا ليس ينقضه

إلا الجماع وضوء النوم للجنب

وقد فعل ذلك النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - وأمر الصحابة بذلك.

وأى آية كتبت يرسل الله عليها الملائكة حرسا، وإذا سقطت على الأرض يرفع عنها أنوارها وخصوصياتها، لأنه إذا كان فيها كل شىء فإن من يطؤها يمسخ، وهذا تخفيف من الله على الناس، والمصحف تحيط به الملائكة أنى وجد.

حكم المنى على المذاهب الأربعة:

قال الشافعية: المنى طاهر سواء أكان رطبا أو يابسا، وتجوز الصلاة بالثوب الذى فيه المنى، وهذا أيضا رأى الإمام أحمد.

أما عند المالكية: فإنه نجس، فمن أصاب ثوبه منى، فإنه يجب عليه أن يغيره بثوب طاهر أو يغسله.

أما الحنفية فإنهم قالوا: إن كان رطبا فإنه يغسله وإن كان يابسا فإنه يفركه ثم يصلى به.

وقد استدل الشافعية على طهارة المنى: بأن ابن آدم مخلوق منه، والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾ (١)، فلا يصح أن يكون أصله من النجاسة، وقد ورد فى الحديث أن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت عن المنى: كنت أفركه من ثوب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وفى رواية مسلم: فيصلى فيه.

أما المالكية فقد استدلوا بما روته السيدة عائشة أنها قالت: كنت أغسل ثوب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من المنى فيخرج إلى الصلاة وإن فيه لبقع الماء، يعنى أنها كانت تغسله، وبعد زوال عينه تبقى آثاره فقط كالبقع، وقالوا أيضا: إن أصل المنى دم، والدم نجس، فباعتبار أصله يكون نجسا. وقد اعترض الشافعية على هذا الاستدلال وقالوا لهم: أنتم تقولون إن الخمر إذا خلل أو حجر، فهو طاهر، يعنى إذا طالت مدة مكثها فى الاناء فصارت إلى خل أو تحجرت كالحجر فهى طاهرة.

وتقولون إن ذيل الثوب لو مس الخمر فإن الصلاة بالثوب تكون باطلة، وإذا لمس الخمر المتخللة أو المتحجرة فإن الصلاة تجوز به، إذن: فما الذى جعلكم تقولون إن الخمر النجسة يمكن أن تتحول إلى شىء طاهر؟ فقالوا: لأنها صارت خلا أو حجرا، فقال الشافعية: ونحن كذلك، فإن الدم نجس، ولكنه حينما انقلب منيا صار طاهرا، وهذه حجتنا.

---

(١) الاسراء: ٧٠.

وليست هناك آية أو حديث يدل صراحة على نجاسة المنى، أما الدم فنجس بالدليل من القرآن والسنة إذن فلماذا الخلاف بين الأئمة؟ الجواب: أنهم لم يدركوا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيسألوه عن حقيقة المنى، ولكنها أحاديث رويت، وكل يجتهد فيها برأيه، من أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر.

تعريف الأحكام الشرعية:

الفرض: هو ما يجب فعله، ومن فعله له ثواب عظيم، ومن تركه فله عذاب أليم.

والمحرم: هو ما يحرم فعله، ومن فعله فله عقاب وجزاء عند الله ـ تعالى ـ ومن تركه خوفا من الله غفر الله له: ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما**﴾(١).

يعنى لو نظر رجل إلى امرأة فأعجبته، فراودها عن نفسها، فرضيت وتمكن منها، وقبل أن يفعل بها، ذكر الله ـ تعالى ـ فخاف منه، فلم يزن بها خوف العقاب، فإن الله ـ تعالى ـ يغفر له ما فعله من النظر والمراودة، وكذلك لو أن رجلا رأى خزينة نقود، فأتى ببعض المفاتيح والأدوات ليستعين بها على فتحها، بل فتحها فعلا، ولكنه ذكر الله ـ تعالى ـ وخاف من عقابه، فلم يسرقها، فإن الله ـ تعالى ـ يغفر له ذنوبه الصغائر، لأنه ترك كبيرة من الكبائر وهى السرقة.

وكذلك لو أن رجلا شتم رجلا آخر، فهم الثانى بقتله، فلما تمكن منه قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فرجع عما عزم عليه من القتل، فإن الله ـ تعالى ـ يغفر له تهجمه على الرجل وتهديده بالسكين، لأنه اجتنب كبيرة، وهى القتل خوفا من الله ـ تعالى ـ.

والمندوب: هو ما طلبه الشارع طلبا غير جازم، فمن فعله له ثواب عظيم، ومن تركه فإنه لا يدخل النار.

---

(١) النساء: ٣١.

والمكروه: هو ما نهى عنه الشارع نهيا غير متحتم، بحيث يجوز فعله مع الكراهة ولا عقاب عليه.

والمباح: هو ما جاز فعله وتركه على السواء.

معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا﴾ (١).

مثـــال:

يقول لك رجل: أنا عندى خزانة نقود، فأعط هذا المسكين مائة جنيه، وحينما تذهب لمكة إن شاء الله سوف أردها لك مضاعفة عشر مرات.

﴿ولله المثل الأعلى﴾، فالله ـ تعالى ـ يقول لنا: أنا خلقت الجنة فمن يقرضنى؟ أى من يقرض المسكين لوجهى فإنى سوف أثيبه على ذلك أضعافا مضاعفة، لأن الله ـ تعالى ـ لا يقترض من أحد، ولكن شبه الصدقة بالقرض، لأن جزاءها فى الآخرة، وكل شىء لا يرد فى وقته يسمى قرضا، ولما كان صاحب الصدقة لا يثاب عليها الآن، فقد سميت قرضا، فالزكاة المفروضة: تسمى صدقة، ولكن تركها يؤدى إلى النار، أما الصدقة غير المفروضة فإنها سنة، ولكن تركها لا يؤدى إلى النار.

الحكمة من الغسل:

الغسل أمر ربانى على وجه التعبد، وقيل: هو شكر لله على النعمة، لأن الزوجة نعمة من الله ـ تعالى ـ فإذا أتى الرجل زوجته فقد وصلت إليه من الله نعمة عظيمة ليست فى الفم فقط، وإنما هى لذة يشعر بها فى جميع جسده، فشكرها يكون بغسل جميع الجسد.

وبعض العلماء يقول: هذا المنى يخرج من جميع أجزاء الجسم ابتداء من الرجلين إلى الرأس، ويحدث بعد خروجه فتور، فالماء يجدد النشاط ويذهب بالفتور، لأن الله ـ تعالى ـ تجلى على الماء باسمه الحى. قال ـ تعالى ـ: ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾ (٢).

---

(١) البقرة: ٢٤٥.

(٢) الأنبياء: ٣٠.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «فى المعدن جبار والذهب جبار[1] وفى الركاز الخمس» رواه الدارمى.

يعنى: أن الإنسان إذا كان يصنع من الذهب والفضة حليا، فإنه لا يجب عليه إخراج شىء لبيت المال وإنما يجب عليه إخراج الزكاة إذا بلغت نصابا.

أما إذا حفر فى الأرض فوجد قنطارا من ذهب أو فضة فعليه خمسه لبيت المال، لأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «جرح العجماء جبار، والبير جبار، والمعدن جبار، وفى الركاز الخمس». رواه الدارمى.

وكذلك إذا وهبه الله أرضا فيها عروق الذهب، أو صنع هو قنطارا منه فإنه يكون عليه الخمس.

قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرؤه ويتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران» رواه البخارى.

يعنى: أن حامل القرآن الذى يحفظه ويقرؤه وهو سهل عليه فإنه يكون مع الملائكة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن وهو شاق عليه فله أجران.

وعن أبى أمامة أنه كان يقول: «اقرأوا القرآن ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لن يعذب قلبا وعى القرآن» رواه الدارمى.

وهذا ترغيب فى الحفظ، فلا تغتر بالقراءة، بل احفظ بقلبك واعمل به.

حكم العمرة:

العمرة سنة عند الإمام مالك، وبعضهم يقول: واجبة، وعند أبى حنيفة: هى تطوع، أما عن تكرارها فى العام الواحد، فيرى بعضهم أن تكرارها مكروه، وبعضهم يقول: لا كراهة.

---

(١) جبار: هدر، لاشىء فيها.

ومعنى كلمة «عمرة» عند العرب: الزيارة، أما كلمة الحج فمعناها القصد، فيقال فلان حج البيت أى: قصده وذهب إليه.

الفرق بين الحج والعمرة:

يتفقان فى النية والاحرام والطواف والسعى والحلق، ويزيد الحج عنها الوقوف بعرفة، ورمى الجمار، والمبيت بمنى أيام التشريق.

والعمرة فى غير أيام الحج لاذبح فيها،يعنى: لاهدى على المعتمر فى غير أيام الحج: أما فى أيام الحج، فإن المتمتع والقارن يجب عليهما الهدى.

أما إذا كان مفردا فليس عليه هدى، لأن المتمتع يحرم بالعمرة فى أيام الحج ويتحلل منها، ثم يحرم يوم التروية، فهذا يجب عليه هدى.

أما القارن فهو الذى يحرم بالحج والعمرة معا، ويبقى باحرامه حتى يوم العيد، فهذا أيضا عليه هدى، وأما المفرد فهو الذى نوى الحج وحده وبعد الانتهاء من أعمال الحج، يقوم بأعمال العمرة، وهذا ليس عليه هدى.

كيفية النية فى الحج:

إذا كان السفر بالطائرة فإن الإحرام يكون من بيتك أو من المطار، وتقول: نويت الحج وأحرمت به لله ـ تعالى ـ: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك،إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

أما إذا كان السفر بالباخرة فإن الإحرام يكون من الميقات المحدد شرعا لكل بلد، فعند قرب الوصول إلى الميقات، فإن المسئولين فى الباخرة يطلقون إشارة، يعلمون الناس بقرب الميقات، حتى يغتسل الحجاج ويلبسوا ملابس الاحرام ويصلوا ركعتين وينووا الحج لله ـ تعالى ـ.

وغسل الإحرام إنما هو لأجل أن تلبس ملابس الاحرام على نظافة، ولذلك قال العلماء: الحائض تغتسل للاحرام، وتلبس ملابس الاحرام وهى حائض، ولكنها لاتصلى الركعتين،

وتقول أيضا: نويت الحج وأحرمت به لله ـ تعالى ـ.

واحرام المرأة فى وجهها وكفيها، فلا تغطيهما إلا إذا خشيت الفتنة، ويجب عليها أن تخلع الخاتم الذى فى يدها، أما إذا اغتسلت ولبست ملابس إحرامها، وصلت الركعتين ونوت الحج، ثم حاضت فى الطريق فلا يبطل حجها بسبب الحيض.

فمن جابر ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: أقبلنا مهلين مع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بحج مفرد، وأقبلت عائشة ـ رضى الله عنها ـ بعمرة، حتى إذا كنا بسرف (موضع) عركت (أى حاضت) حتى إذا قدمنا طفنا بالكعبة والصفا والمروة فأمرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يحل منا من لم يكن معه هدى، قال: فقلنا: حل ماذا؟ قال: الحل كله، فواقعنا النساء، وتطيبنا بالطيب ولبسنا ثيابنا، وليس بيننا وبين عرفة إلا أربع ليال، ثم أهللنا يوم التروية، ثم دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على عائشة ـ رضى الله عنها ـ فوجدها تبكى، فقال: ما شأنك؟ قالت: شأنى أنى قد حضت، وقد حل الناس، ولم أحلل ولم أطف بالبيت، والناس يذهبون إلى الحج الآن، فقال: إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فاغتسلى ثم أهلى بالحج ففعلت ووقفت المواقف، حتى إذا طهرت طافت بالكعبة والصفا والمروة، ثم قال: قد حللت من حجك وعمرتك جميعا، فقالت: يا رسول الله.. إنى أجد فى نفسى أنى لم أطف بالبيت حتى حججت، قال: فاذهب بها يا عبد الرحمن فأعمرها من التنعيم، وذلك ليلة الحصبة (أى فى ليلة نزولهم المحصب) رواه مسلم.

التنعيم: يوجد فيه الآن مسجد يسمى مسجد السيدة عائشة فى المكان الذى اغتسلت فيه وصلت ركعتين، وأهلت بعمرة.

فالمرأة ليس عليها إحرام إلا فى وجهها وكفيها، ولا تضع الطيب فى وجهها ولا فى ثيابها، ولا تلبس الخاتم، ويجوز لها أن تلبس الحذاء والجورب وتغطى رأسها وأذنيها.

أما الرجل فيحرم عليه لبس المخيط والمحيط، وستر الرأس، ويحرم عليهما معا الجماع والتطيب وإزالة الشعر والأظافر والصيد.

ويلبس الرجل رداء وازارا حتى ينتهى من أعمال الحج، وعندما يحرم يلف الرداء على كتفيه، ويستر ذراعيه معا، وعند دخول البيت الحرام من باب السلام يظهر كتفه الأيمن، ويغطى الأيسر، وهكذا فعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما كشف كتفه اليمنى عند دخول مكة.

أنواع الطواف:

الطواف أربعة أنواع:

الأول: طواف القدوم، وهو واجب عند المالكية، وسنة عند الجمهور، ويطوف فيه الحاج بالبيت سبعا عند وصوله مكة.

والثانى: طواف الإفاضة، وهو الفرض الواجب ويبطل الحج بتركه ولا يكون إلا بعد الوقوف بعرفة.

والثالث: طواف التطوع، وهو تحية البيت الحرام للغريب، ويستحب الاكثار منه.

والرابع: طواف الوداع، وهو مندوب عند المالكية والحنفية، وواجب عند الحنفية والحنابلة.

سؤال: إمام صلى بالناس ثم تذكر أن فى ثوبه نجاسة فما الحكم؟

قال العلماء: كل صلاة بطلت على الإمام بطلت على المأمومين إلا فى سبق الحدث أو نسيانه.

فلو أن رجلا صلى بالناس وهو معتقد أنه متوضىء، وبعد السلام من الصلاة تذكر أنه غير متوضىء أو عليه جنابة، فإن صلاة من صلى خلفه تكون صحيحة، وتبطل صلاته هو وحده، لأنه صلى بهم ناسيا الحدث، والنسيان متجاوز عنه شرعا.

ومن سبقه الحدث وكان هو الإمام فصلى ركعتين بالمأمومين وهو متوضىء، ثم بعد تمام الركعتين خرج منه ريح غلبة، أو نزل منه بول، يعنى سبقه الحدث، فإن صلاة المصلين خلفه

لا تكون باطلة ويستحب له أن يستخلف أحدا من المصلين وراءه ليتم الصلاة بالمأمومين، ويخرج هو واضعا يده على أنفه، كما لو كان قد أصيب بالرعاف، يعنى: نزل من أنفه دم، فإن الله - تعالى - ستير يحب الستر.

قال صلى الله عليه وسلم: «حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع» رواه أبو داوود والطبرانى.

تفسير الرؤيا - رؤيا قراءة القرآن:

من رأى فى النوم أنه يقرأ القرآن، وكان يقرأ فعلا كل يوم، فهذا تفسير أن الله يقول له: استمر فى قراءتك، وهذا دليل الصلاح، وإذا لم يكن يقرأ، فهذا أمر من الله - تعالى - بالقراءة.

رؤيا الصلاة:

من رأى أنه يصلى، وكان يصلى فعلا، فهى علامة على قضاء حاجته يقضيها الله - تعالى - له، أما إذا كان لا يصلى فعليه أن يصلى.

رؤيا الوضوء والغسل:

من رأى أنه يتوضأ أو يغتسل فى الرؤيا، فإنها طهارة للرائى وتوبة إلى الله - تعالى - من الذنوب.

رؤيا الأذان فى النوم:

من رأى فى النوم أنه يؤذن، فإذا كان فى أيام الحج فإنه سوف يحج إن شاء الله - تعالى -، أما إذا كان عالما، فهذه علامة على أنه يدعو إلى الله - تعالى -.

* * *

الـــدرس التاسع

فى تفسير قوله تبارك وتعالى:

﴿إذا جاء نصر الله والفتح. ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾..

(صدق الله العظيم)

اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك، نبى الرحمة، السراج المنير، الذى أرسلته هاديا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إليك بإذنك وسراجا منيرا، فأخرج الأمة من الضلال إلى الهدى، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الجهل إلى العلم، ومن العداوة والبغضاء، إلى المودة والاخاء.. صلى الله عليه وعلى آله، وارض اللهم عن أصحابه، وارض عن أمته إنك حميد مجيد..

والنبى محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان دائما ينتظر من ربه الخير والفرج والنصر، فلم يخيب الله له أملا ولا رجاء، بل حقق له كل ما يرجوه وكل ما يؤمله، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ ناصرا لله ـ تعالى ـ فكان الله ناصرا له، وكان داعيا إلى الله ـ تعالى ـ، فكان الله مؤيدا له، وكان محبا لله فأحبه الله، وألقى محبته فى القلوب ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحابته والتابعين ـ.

كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينتظر فتح مكة، ويأمل ذلك من الله ـ تعالى ـ، فحقق الله له فتح مكة، وقرت عينه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بهذا الفتح، وكان فتحا مبينا ظاهرا عند جميع العرب، وبه انتصر الإسلام، وشاع ذكره فى الآفاق، وبه خمدت نار الأعداء، وهزمت جيوشهم، وذهبت آمالهم، وتعطلت دعوتهم.

فتح الله تعالى مكة للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم، فدخلها قائدا، بعد أن خرج منها ثانى اثنين، دخلها ومعه عشرة آلاف جندى من الصحابة، خير من جاء بهم التاريخ، وخير من

عرف الناس، فأصحاب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أفضل الأصحاب، وفضل أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على غيرهم كفضله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على النبيين والمرسلين، وكذا أهل بيته أفضل أهل بيت من بيوت الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام.

سبحان الله !.. كيف خرج خائفا «ثانى اثنين»، وكيف دخل قائدا يقود عشرة آلاف؟ هذا هو الفتح الذى جاء بعد الخوف وبعد غلبة الكفار وأذاهم له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ففتح الله عليه هذا الفتح.

مكث النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ثلاث عشرة سنة صابرا على أذى الكفار وعبادتهم الأصنام ووضعهم لها داخل الكعبة، صبر النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وكان الله ـ تبارك وتعالى ـ بصبره عليما، قال ـ تعالى ـ: ﴿**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم**﴾ (١)، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿**فاصبر لحكم ربك ولاتكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم**﴾ (٢) أى فلا تستعجل الخروج ولا يضق صدرك مما أنت فيه، ﴿**فإنك بأعيننا**﴾، فلقد أرسلت يونس بن متى إلى أهل «نينوى»، فكذبوه، فلم يصبر عليهم وتركهم وسافر من بلدهم من غير إذنى، فلا تخرج أنت من مكة حتى يأتى لك الإذن منى، ولا تكن كيونس فإنه خرج بغير إذنى، وأنت أفضل منه فلا تكن مثله، فهذا تعليم وإرشاد للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فربك ـ سبحانه وتعالى ـ فى الأزل أراد لك أن تبقى بمكة كل هذه السنين، فإذا انقضت فاخرج منها، وهذا هو الحكم، وإذا كان الحكم لربك ـ سبحانه وتعالى ـ فلا تخرج من حكمه، فهو ـ تعالى ـ حاكم حكيم، إذن فلا تخرج أحكامه عن الحِكم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لاتخافون**﴾ (٣)، أى سيأتى ذلك اليوم الذى تدخلون فيه المسجد الحرام ولا تخافون، وبعد هذا الفتح لا خوف عليكم أبدا.

---

(١) الطور: ٤٨.
(٢) القلم: ٤٨.
(٣) الفتح: ٢٧.

ولقد رأى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى الرؤيا أنه قد دخل مكة، فأخبر الصحابة بذلك، وفى غزوة الحديبية جاء ليطوف بالبيت معتمرا فمنعه أهل مكة، فعقد معهم صلحا، على أن يرجع هذا العام، ويأتى فى العام القابل، ووضعوا لذلك شروطا مجحفة بالمسلمين، فقبلها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغضب بعض الصحابة، ومنهم عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ الذى قال: يا رسول الله.. ألست تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به؟ قال: بلى، ثم قال له رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: فأخبرتك أنك تأتيه العام؟ قال عمر: لا، قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: فإنك آتيه ومتطوف به، ثم أتى عمر أبا بكر، فقال له: أوليس كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام،؟ قال: لا، قال: فإنك آتيه ومتطوف به.

ورجع المسلمون فى هذه السنة، ثم جاء الفتح الربانى فى العام التالى، فدخلوا مكة فاتحين مهللين فرحين، وكان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أول من أزال الأصنام من الكعبة، وأول من نادى بالتهليل والتكبير فيها، ففرحت مكة وفرح المسلمون بذلك، وبعد الفتح أنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ .. السورة. والمعنى أن الله ـ تعالى ـ يقول للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ: إنى قد أريتك منامًا هو كوعد منى لك، وقد غضب بعض الناس، وها هو الفتح قد جاء، فإذا جاء الفتح فسبح بحمد ربك، قل: سبحان الله الذى لا يخلف وعده، ولا يخذل عبده، فلقد تحقق لك النصر والفتح، فسبح: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، فهو التواب، وعليك أن تكثر من التوبة، والله ـ تعالى ـ تواب، أى كثير التوبة على عباده، ومن تاب الله عليه غفر له.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة» رواه أبو داود.

فالذنب لا يضر التائب منه، ولو تاب منه ورجع سبعين مرة فى اليوم، فكان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول بعد نزول هذه السورة: ﴿**سبحان الله وبحمده استغفر الله إنه كان توابا**﴾.

قصـــة:

كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يأتى بابن عباس ليجلسه مع الصحابة، وكان صغير السن، فقال بعضهم: كل منا عنده أولاد مثله، فلماذا لا يجالسهم أمير المؤمنين أيضا؟ فبلغه ذلك، فأراد أن يبين لهم فضل ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فجمع الصحابة يوما ومعهم ابن عباس، فقال لهم: ما تقولون فى قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾.. السورة؟ ففسرها كلهم على حسب المعنى الظاهر، فقال عمر: وأنت ماذا تقول فيها يا ابن عباس؟ قال: لا أقول مثل ما قالوا، وإنما هى أجل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أى أن الله ـ تعالى ـ أخبر نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن أجله قد دنا، أى تنبيه وإخبار بقرب الموت، فقال عمر: والله يا ابن عباس ما أعلم منها إلا ما قلت !

فعرف الصحابة قدر ابن عباس رضى الله عنهما، وكان فضله كفضل أمير المؤمنين، ولقد جاءه هذا العلم بدعوة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان فى بيت ميمونة فوضعت له وضوءا من الليل، قال: فقالت ميمونة: يا رسول الله.. وضع لك هذا عبد الله بن عباس، فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل» رواه الإمام أحمد فى مسنده.

فصار عالما من علماء الأمة الإسلامية، ويعرف هذا سيدنا عمر فاحتفظ له بقدره، يقول البوصيرى:

وكلهم من رسول الله ملتمس

غرفا من اليمِّ أو رشفا من الديم

الديم: المطر.

غرفا: فضل كبار العلماء، والديم: وهو فضل صغارهم. وكان زيد بن ثابت عالما، قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيه: «أفرضهم زيد» أى اعلم الصحابة بالفرائض (علم

المواريث) هو زيد بن ثابت. رواه البخارى.

وكان ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قد صلى مأموما خلف زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ فلما فرغ من الصلاة ركب دابته فجاء ابن عباس وأخذ بركاب الدابة، فقال زيد: مهلا يا ابن عم رسول الله ! فقال ابن عباس: هكذا أمرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن نفعل مع علمائنا ـ أى أمرنا النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن نكرم أهل العلم ـ فنزل زيد بن ثابت من على دابته، وقبل يد ابن عباس، وقال له: هكذا أمرنا أن نفعل مع أهل بيت نبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

وتقبيل اليد وارد عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أحاديث كثيرة، وكذلك تقبيل رجليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، قال أحد المغاربة واسمه عبد الحى بن عبد الكبير الكنانى: لقد جمعت رسالة ذكرت فيها أن مائة صحابى بأسمائهم، قد قبلوا يد النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، مثل وفد عبد القيس، الذين قبلوا يديه ورجليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

حكـــاية:

فى العام الذى قبل هذا، كنت فى المدينة المنورة، فخرجت مع رجل مغربى إلى رجل من أهل المدينة له بيت وحديقة، فوجدته رجلا شائبا، أى كبير السن، عالما، ومعه نحو خمسين رجلا، فقلت له: من أين أنتم؟ قالوا: نحن وفد عبد القيس الذين يسكنون البحرين، فقلت لهم: أنتم ممن ورد فيهم حديث البخارى؟ قالوا: نعم.

قصة وفد عبد القيس:

«بينما رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يحدث أصحابه إذ قال لهم: سيطلع لكم من هذا الوجه ركب هم خير أهل المشرق، فقام عمر، فلقى ثلاثة عشر راكبا، فرحب وقرب، وقال: من القوم؟ قالوا: وفد عبد القيس، وفى رواية قالوا: ربيعة، قال: مرحبا بالقوم ـ أو بالوفد ـ غير خزايا ولا ندامى» رواه البخارى ومسلم.

وكانت أنواره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تظهر على قدر المحبة له، فوفد عبد القيس لما

رأوه - صلى الله عليه وسلم - ظهر لهم جلال النبوة ونورها، ورأوا شيئا ما رأته أعينهم، ولا سمعت به آذانهم، فلما رأى منهم - صلى الله عليه وآله وسلم - هذا الأدب رحب بهم وقال: «مرحبا بالقوم غير خزايا ولا ندامى».

فكأنه يقول لهم: إنى أرحب بكم أنتم يا من جئتم لتؤمنوا، وإن شاء الله من يسلم منكم لن يخزيه الله - تعالى - ولن يجعل مجيئه ندامة، بل يسره ويفرحه.

فعندما رأوه سرت هذه الكلمة فى قلوبهم فألقوا بأنفسهم من على دوابهم، تعظيما واكبارا وترحيبا به - صلى الله عليه وآله وسلم -، وابتدروا يد النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - ورجله فقبلوهما، وأقرهم النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - على ذلك. رواه أبو داود.

والحمد لله، فلقد أكرمنى الله تعالى بتقبيل يد النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - ورجله.

النهى عن كثرة السؤال:

روى البخارى أن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - لما أكثر عليه أصحابه السؤال غضب وقال: «إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، واضاعة المال».

والقيل والقال: هو الكلام غير المجدى، كثرة السؤال: فى المسائل غير النافعة، أما السؤال النافع الذى يستفيد منه السائل والمسئول، فكأن يسأل أحد عن القنوت وشروطه وأحكامه فى المذاهب، فتكون الإجابة:

الإمام أبو حنيفة: لا يقنت فى الصبح، ويقنت فى الوتر قبل الركوع سرا.

والإمام الشافعى: يقنت جهرا فى الصبح بعد الرفع من الركوع.

والإمام مالك: يقنت سرا بعد قراءة الفاتحة والسورة قبل الركوع.

وإذا صلى مالكى خلف شافعى، فعليه أن يتبعه فى التأمين أى يقول: آمين.

وإذا صلى شافعى خلف مالكى، فإنه يقنت سرا خلف المالكى.

ومن ترك القنوت فصلاته صحيحة، ولا يسجد سجود السهو لتركه، فإذا صلى المصلى

ونسى القنوت وسجد سجدتين للسهو قبل السلام، فصلاته باطلة، ولو كان جاهلا بالحكم، لأن القنوت مستحب، أما لو سلم وسجد سجدتين للسهو فلا تبطل صلاته، لأنه يكون قد أتم صلاته قبل ذلك.

وكلمة «قنوت» أى دعاء، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وكانت من القانتين﴾ (١)، أى: من الداعين.

أدلة القنوت:

ورد أن النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ صلى الصبح فقنت قبل الركوع، كما روى عن أنس ـ رضى الله عنه ـ، وبهذا أخذ الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ.

وورد أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ صلّى الصبح وقنت بعد الركوع جهرا، وبهذا أخذ الإمام الشافعى.

وورد أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ صلّى ركعتى الصبح، ولم يقنت بينهما، وورد أيضا أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قنت فى الوتر قبل الركوع وبهذا أخذ الإمام أبو حنيفة.

وبعض الشافعية يقنت فى رمضان فى الوتر، تقليدا للإمام أبى حنيفة.

سجود التلاوة:

عند الإمام الشافعى يسن للقارىء أن يقرأ فى صلاة الصبح، صبح الجمعة، بسورة السجدة، كما كان يفعل النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويسجد سجدة التلاوة، فإن تركها فلا شىء عليه، لأنها مستحبة وليست واجبة.

وعند الشافعية: يستحب للإمام أن يترك سجدة التلاوة كل شهر أو شهرين مرة، حتى لا يعتقد العامة وجوبها، وقد حدث هذا الآن، فبعض العامة يعتقد بطلان الصلاة بترك سجدة التلاوة فى صبح الجمعة.

---

(١) التحريم: ١٢.

وعند المالكية: لا سجود للتلاوة فى صلاة صبح الجمعة، ولكن يقرأ بأى سورة، وإذا قلد الشافعية مرة وسجد، فهذا جائز، ولا يضر الصلاة، أما فى غير صلاة الصبح، فإنه يكره تعمد قراءة آية فيها سجدة ثم يسجد عندها.

قراءة سورة الكهف:

يوم الجمعة مستحبة عند الأئمة، أى يسن أن يقرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أو ليلتها، أما فى يومها، فلقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» رواه الحاكم والبيهقى فى السنن.

وأما فى ليلتها فلقوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «من قرأها (أى الكهف) ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق» رواه البيهقى.

وفى زمن السلف الصالح، كان الناس يحفظون سورة الكهف ويقرأونها، أما الآن فأكثر الناس لا يحفظ السورة، فجوز العلماء أن يؤتى بقارىء فى كل مسجد ليقرأ لهم، حتى لا تفوتهم السنة، فيحصلونها بالسماع لأن السامع كالقارىء، فالمقرىء يقرأ سورة الكهف فى المسجد، ليدخل العامة فى الحديث: «من قرأ سورة الكهف.. » الحديث. زيادة على ذلك: لو أخذ القارىء أجراً من الوقف لأجل قراءة سورة الكهف، فإن هذا جائز، لينتفع بالوقف.

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لكل شىء قلب، وقلب القرآن: يس، ما قرأها عبد مؤمن يريد بها وجه الله إلا غفر له».

وقد لاحظت شيئا، وأنا فى الجامع الأزهر الشريف، فلقد كان فيه رجل كبير السن، يقرأ سورة الكهف كل جمعة، ولم يكن هناك «ميكروفون» فكان بعض الناس يقرأ الجرائد، وكان بعضهم يحدث بعضا، إلى أن يصعد الخطيب المنبر، وعندما استخدم «الميكروفون» وقرأ القارىء فيه، سكت الناس، وإذا تكلم أحدهم نهره الآخر، فقراءة السورة تسببت فى منع الكلام المكروه فى المساجد، إذن تكون قراءة السورة سنة، فما يزيل المكروه يعد سنة، ويستحب قراءة القرآن بالصوت الحسن، وكان سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله تبارك

وتعالى عنه ـ إذا جلس مع الصحابة يقول: ذكرنا ربنا يا أبا موسى.

ولقد قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأبى موسى الأشعرى: «لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داوود» رواه الشيخان.

ومن الأصوات الحسنة فى زماننا هذا: صوت الشيخ محمد رفعت.

وقد حدث أن قام أعرابى يقول: الله أكبر، فقال له النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «اجلس، بلال يؤذن، لأنه أندى منك صوتا».

وعند المالكية يستحب أن يكون المؤذن ندى الصوت.

وقد دخل رجل على الإمام مالك، فقال له: يا أبا عبد الله.. المؤذنون يقولون: حى على الصلاة، ويمدون بها أصواتهم، ويأتون فيها بالتطريب، فما دليل هذا التطريب؟ فقال الإمام مالك: أتسألنى عن شىء ثبت بالتواتر؟

هذا هو الأذان الذى أقره النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأقره الخلفاء الراشدون وتابعوهم، وقد أدركت من يطرب فى الأذان.

وقد سمع الإمام الشافعى رجلا ينادى على بضاعته ويقول: أحلى من العسل يا بصل !!، فقال له: هذا كذب يا رجل، فالبصل ليس حلوا، فقال له البائع: هذه تحلية للبضاعة.

حديث البخارى:

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «إن بلالا ينادى بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم».

وكان عبد الله بن أم مكتوم رجلا أعمى، فكان لا يؤذن حتى يقال له: أصبحت، أصبحت.

فالنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يخبر أصحابه أنهم إذا سمعوا أذان بلال يستمرون فى الأكل والشرب إلى أن يؤذن ابن أم مكتوم.

فأذان الفجر مرتان، كما ثبت فى السنة، يؤذن للصبح فى أول سدس الليل الأخير، ثم يعاد الأذان عند طلوع الفجر.

ولقد عد العلماء التسابيح والتوسلات بالليل فى هذا العصر من البدع الحسنة، فهى تدل على قرب طلوع الفجر فإذا طلع الفجر أذن المؤذن وأمسك الصائم.

وقد قرأ بعض العلماء الحديث السابق، فصعد منارة المسجد، وأذن قبل الفجر بساعتين، وكان ذلك فى شهر رمضان فامتنع كل من سمع أذانه عن الأكل، ظنا منه أنه أذان الصلاة، وبعد ذلك بساعتين صعد وأذن مرة أخرى عند طلوع الفجر، فلما أصبح الناس تشاجروا معه، لأنهم لم يعرفوا أن للصبح أذانين.

حكم عمل المحراب فى المسجد:

يقول بعض الناس: إن المحراب بدعة، ومصر بها آلاف المساجد الكبيرة، وفيها آلاف الخطباء والأئمة، وبها المحاريب، ولم يقل أحد إن المحراب بدعة، فهل أنت قد عرفت الحق وحدك.

يقول العلماء فى باب الأصول: الشىء الذى يعرف به الواجب واجب، فمثلا إذا دخل رجل غريب المسجد وكان الوقت ضيقا، ولم يجد أحدا يسأله عن القبلة، فلن يدله على القبلة إلا المحراب وهذا الأمر اجتمعت عليه الأمة المحمدية، وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «لا تجتمع أمتى على ضلالة».

وقد حدث أن جمع عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ الصحابة فى صلاة التراويح على إمام واحد، هو أبى بن كعب، فصلى بهم عشرين ركعة، ولم يكن وحده، بل كان معه آلاف الصحابة، وفيهم عثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وباقى العشرة المبشرين بالجنة ـ رضى الله عنهم ـ.

فيا من يدعى أن التراويح غير ذلك: من أين لك هذا الادعاء؟ هل أتاك وحى من دون الناس؟ أم هل اختصك الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحديث لم يقله لغيرك؟..

فهذا من باب إثارة الفتن والاساءة والجهل بمقام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد بين لنا صلى الله عليه وآله وسلم فضل سيدنا عمر بن الخطاب الذى جمع الناس على عشرين ركعة. فقال عليه الصلاة والسلام: «عمر سراج أهل الجنة» رواه البزار.

وهنا يأتى سؤال لمن يصلون صلاة التراويح ثمانى ركعات فى جماعة، فنقول لهم: هل هذا العمل عمله النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ؟ وهل عمله أبو بكر الصديق رضى الله عنه؟

وإذا كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى التهجد ثمانى ركعات، وصلى الصحابة خلفه ليلتين، وفى الليلة الثالثة لم يخرج النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، فكيف جئتم وجوزتم ذلك؟ بينما النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يستمر على ذلك؟

إذن يأتى هنا قول الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «أبو بكر وعمر السمع والبصر» رواه الترمذى.

وقد صلى الصحابة خلف النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكان هو يصلى صلاة التهجد المفروضة عليه، وكانوا هم يصلون السنة (أى التراويح) فلم يطلب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ منهم أن يعيدوا صلاتهم، وبهذا أخذ الإمام الشافعى، أما الإمام مالك فإنه يشترط اتحاد النية بين الإمام والمأموم، فلا يصلى فرض خلف نفل، ولا يصلى قضاء خلف أداء، هذا فى الفرض أما السنة فلا يشترط فيها ذلك، ودليل صلاة التراويح: قول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».

أما أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ صلى ثمانى ركعات، فهى صلاة الليل المفروضة عليه (أى التهجد).

قال الشيخ محمود خطاب السبكى فى شرح سنن أبى داود: صلاة التراويح مستحبة والعدد غير معلوم.

فالحديث: «من قام»، فقط حتى لو صلى مائة ركعة، فمن صلى عشرين أو زاد عليها لا

شيء عليه ،وإذا صلى أقل من عشرين فلا شيء عليه، بشرط ألا يقول: إن هذا هو السنة، وإن هذا هو فعل النبى - صلى الله عليه وآله وسلم -.

حكم الصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - بعد الأذان:

قال العلماء: لا تجوز الصلاة على النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - أثناء الأذان (أى بين ألفاظه الشرعية)، ولكن بعض المتعصبين فهموها على غير ما أراد العلماء، وقالوا: إن رأى العلماء هو أن الصلاة على النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - بعد الأذان غير جائزة.

والله تعالى يقول: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى ..﴾. فهذا أمر عام فى الزمان والمكان، إذن أين دليل عدم جواز الصلاة على النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - بعد الأذان، وأين دليل منعها من القرآن والسنة؟ أما دليل الصلاة على النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - بعد الأذان: فهو قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم :«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على» رواه مسلم.

فلا يقال هنا إن الأمر موجه لغير المؤذن، بل هو للأمة كافة، والمؤذن واحد منهم، فهو يؤذن ثم يصلى على النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - بعد الأذان، ممتثلا أمره الكريم، وإذا قيل لك: إن المؤذن ليس من السامعين، فإن العلماء يقولون: لا، بل هو سامع لنفسه، فهو مطالب بالصلاة والسلام على النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - ومن هنا فهم الناس الأمر بالصلاة عليه.

ولكن: من أين يأتى دليل الجهر بها؟

قال العلماء: إن الله تعالى عمم وقال: «صلوا عليه» أى سرا أو جهرا فكلاهما جائز، وهناك تخصيص فى الوقت، قال - عليه الصلاة والسلام -: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على»، لم يقل سرا أو جهرا.

قال الشيخ النووى شارح صحيح مسلم - وهو شافعى المذهب - يصلى على النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - جهرا.

وهناك قاعدة تقول: إن ما يؤدى إلى السنة فهو سنة، والناس مأمورون بالصلاة والسلام

على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد الأذان، ولكن الناس الآن مشغولون، فإذا قال المؤذن: الصلاة والسلام عليك.. تذكر الناس الحديث، فصلوا على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وامتثلوا أمره وسنته.

ومن هنا كان الجهر سنة لتذكير الناس بالسنة.

فيا من تمنع الصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وتبطل المحاريب: أأنت غيور على الدين؟ أليست النساء يمشين متبرجات فى الشوارع؟ أليست تباع الخمور علنا فى المحلات؟ ألم يتفش الزنا والربا بين الناس؟ أفلا يغضبك هذا؟ أم أنه لم يرد.

الشيخ محمد بخيت المطيعى ـ رحمه الله ـ جىء له فى أخريات عمره برجلين لا يصليان على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعد الأذان انكارا لمشروعيتها، فقال لهما: أتكرهان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ؟ قالا: لا، قال: فكيف تمنعان الصلاة عليه؟ ..

حكايتى مع الشيخ محمود خطاب السبكى:

كنت جالسا عنده فى بيته بعد العصر فجاء رجل وجلس، وكان من أسوان، وهو مدرس، وكان معه جماعة، فقال له: يا سيدنا الشيخ: نريد أن نبنى مسجدا فى أسوان، لأن الناس هناك صلاتهم كلها باطلة، فانظروا إلى الافتراء: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ (١). جرأة على الله، يقول: الناس صلاتهم باطلة؟! حكم على المساجد بأن الصلاة فيها باطلة، هذه جرأة، يسأله الله تعالى عنها، وكان الشيخ متكئا، فأشار بيده وقال لهم: ابنوا، هل منعكم أحد؟.

وكان بجوارى رجل له لحية طويلة، تبلغ نصف ذراع، ولكنه جاهل، أجهل من حمار أم عمرو، فأومأ برأسه وقال: صدق رسول الله.. افترقت بنو اسرائيل إلى اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار وهم أصحاب المساجد. وقلقل

(١) الأنعام: ٩٣.

الدال [1]، كأنه يجود الحديث، وكان يظننى رجلا من العوام، غير أزهرى، لأننى لم أكن أرتدى الزى الأزهرى لأننى كنت قادما من بلدى حديثا، فقلت له: ما هكذا الحديث، «وهم أصحاب المساجد» لم ترد فى الحديث، فهل جاءك النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - وأملى عليك هذه الزيادة؟ ففتح عينيه ونظر فى وجهى كأنه يقول: أأنت منهم؟ يعنى: أنت أزهرى ولم أعرفك، فسكت ولم يحر جوابا، وغضبت غضبا شديدا، فالشيخ السبكى - رحمة الله عليه - كان من أصحاب القلوب، فلما غضبت ورددت على الرجل ناديته: يا سيدنا الشيخ، فجلس بعد أن كان متكئا، واعتدل، وقال: نعم، فقلت له: ما حكم الصلاة فى مساجد المسلمين؟ قال: صحيحة، فقلت له: أنصلى معهم إذا أدركتنا الصلاة؟ قال: نعم، فأنا سمعت هذا الكلام من الشيخ، والله يسمعنا.

والحمد لله قد أطلعنى على الحقائق، فكل ما قالوه عن الشيخ محمود خطاب السبكى كذب وافتراء، فالرجل كان معتدلا رجاعا إلى الحق، وكانت طريقته خلوتية، ومذهبه مالكى، وله مولد ومديح للنبى - صلى الله عليه وآله وسلم -.

زيارة الأولياء:

بعض الناس يقول إن زيارة السيد البدوى حرام، فإذا قلت له لماذا؟ قال لك: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى» رواه البخارى.

ولكن المعروف أن السيد البدوى رجل مسلم، ومن الأولياء، وقد أجمع العلماء على أن زيارة قبور المسلمين سنة، فإذا زرت قبر رجل مسلم،، يحصل لى ثواب السنة، فإذا قلت عند الزيارة: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، فإنه يحصل لى بها ثواب السنة.

وقد ورد أن السيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق - رضى الله تعالى عنهما - زارت قبر أخيها عبد الرحمن بمكة، والسيدة فاطمة الزهراء كانت تزور قبر سيدنا حمزة وتصلى عنده وتبكى.

---

(١) أى: حرك اللسان عند النطق بها ساكنة حتى سمعت لها نبرة قوية.

والنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يزور قبر سيدنا حمزة والبقيع.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام».

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «زوروا المقابر يوم الجمعة يوما قبله ويوما بعده».

الشيخ حسن العدوى الحمزاوى، قال: نعمل بالحديث العام: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم..» الحديث. فالأموات يزارون فى أى ساعة، فى أى يوم، أما حديث: «زوروا المقابر يوم الجمعة» الحديث. فلبيان الأفضلية، فتجوز الزيارة فى أى يوم وفى أى وقت من ليل أو نهار.

وبالمناسبة: كنت بالأمس فى زيارة السيد البدوى ـ رضى الله عنه ـ، فاقرأوا له الفاتحة.

* * *

الـــدرس العاشر

فى تفسير قوله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين:

﴿قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد﴾

(صدق الله العظيم)

قال رسـول الله ـ صلـى الله عليه وآلـه وسلم ـ: «قـل هو الله أحـد تعدل ثلـث القرآن» رواه الترمذى وابن ماجه والنسائى ومالك فى الموطأ.

والسر فى ذلك أن القرآن الكريم قد اشتمل علـى توحيد وتشريع وقصص، ولا تفاضل بين القرآن الكـريم وأسمـاء الله ـ تعـالى ـ الحسنـى، فهما قـديمان، ولا يقـع التفاضـل بينهما إلا بالحاجة، قال الإمام اللقانى صاحب الجوهرة:

وعندنا أسماؤه العظيمة ❊ كذا صفات ذاته قديمة

وهناك اسم مـن أسماء الله الحسنى، إذا دعوته بـه أجابك «وهو الاسـم الأعظم»، إذن فقد فضل هـذا الاسم على غيـره باعتبار الحـاجة الحاصلـة بسببه «وهى الإجـابة»، ومن هنـا فلا تفاضل من جهة الذات الأصلية، وإنما باعتبار ما يحدث بسببه.

وكذلك، فإن آية الكرسى هى الأخرى لها من الفوائد ما يجعلها مفضلة على غيرها.

يقول الحافـظ أحمد بن حجر العسقـلانى فى شرحـه على صحيح البخارى، عنـد قوله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ: «الإخـلاص تعدل ثلث القـرآن»، وكذلك الله يعطـى ثوابا كثيـرا لمن قرأها لتعلقها بذاته ـ سبحانه وتعالى ـ وهى تسمى سورة الإخلاص.

قال العلماء: إذا أردت الإخلاص، فعليك بسورة الإخلاص.

سؤال عن حكم البسملة:

الإجابة: كـل سورة مبدوءة بها، وقـد اختلف العلماء فى عـدها آية من القـرآن أم لا، فقال

الإمام مالك: البسملة التى فى سورة النمل آية من القرآن، وما عداها ليس بآية، فإذا صليت الفريضة فاقرأ: «الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم..» إلى آخر السورة، ثم اقرأ السورة بعدها بدون بسملة أيضا.

وقال الإمام الشافعى: لابد أن يقرأها فى أول سورة الفاتحة، لأنها عنده آية منها، وتسن فى باقى السور.

وقال الإمام أبو حنيفة: الواجب قراءة القرآن، والفاتحة ليست ركنا.

أما قراءة الفاتحة ذاتها، فقال الشافعية: إنها ركن من أركان الصلاة تجب فى كل ركعة.

والمالكية لهم رأيان:

الأول: أنها ركن فى كل ركعة.

والثانى: أنها ركن فى جل الصلاة، يعنى فى ثلاثة من أربعة، أو اثنين من ثلاثة، وهى سنة فى ركعة، فمن نسى الفاتحة وركع، فإنه يسجد سجدتين قبل السلام ثم يعيد هذه الصلاة مرة أخرى.

معنى الباء فى ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ :

قال الشيخ الدردير ـ رحمه الله ـ فى «الخريدة»: الباء للاستعانة، أو للمصاحبة، فيكون معناها: أنا أقرأ حالة كونى مصاحبا لبركة الله ـ تعالى ـ التى لا تنقطع عن اسم الله ـ تعالى ـ.

ويقول الشيخ الصفتى المالكى: تحرم البسملة على المحرمات، كشرب الخمر والبوظة والبيرة والحشيش، وكذلك إذا سرق رجل شاة، وأراد أن يأكل من لحمها فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فيكون قد ارتكب محرما، وتكره البسملة عند الأمور المكروهة شرعا.

وتسن البسملة عند الطعام على كل واحد، فلا يكفى أن يسمى أحد عن أحد فى الأكل أو الشرب، فلابد أن يقولها الجميع، إلا الأم، فهى تبسمل عن ابنها الذى لا يعرف الكلام، أو الأب أيضا.

وعند دخول الحمام أو الكنيف يقول: بسم الله، اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث، ويدخل برجله اليسرى، أما إذا دخل الكنيف فلا يبسمل ولا يدعو.

وتسن البسملة أيضا عند الجماع مع الاستعاذة، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «إذا جامع أحدكم فليقل: اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إذا لم يقل ذلك جامع الشيطان معه، فيخرج الولد من بينهما» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وتسن البسملة أيضا عند قفل الباب ليلا، وفي الحديث الصحيح: «أغلق بابك واذكر اسم الله عليه» رواه البخاري ومسلم.

فإذا دخل الرجل من الباب وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، قال الشيطان: لا مبيت هنا الليلة، ثم ينتظر العشاء، فإن لم يسموا أكل معهم، وإذا سموا طردته الملائكة.

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء» رواه مسلم.

ويحكى أن شيطانا كان قرين رجل مسلم التقى بشيطان رجل كافر، وكان شيطان المسلم هزيلا ضعيفا، وشيطان الكافر كان سمينا قويا، وكانت عليه العطور والدهون، فسأل شيطان الكافر شيطان المسلم: ما هذا الهزال والضعف؟ فقال له: اننى مع رجل مسلم كلما مد يديه لشيء سمى الله عليه، فلا يمكننى أن أتناول معه شيئا، فقال له شيطان الكافر: أما أنا فمع رجل كافر لا يعرف من ذلك شيئا، فإذا أكل أكلت معه، وإذا شرب شربت معه، وإذا تعطر تعطرت معه.

ونحن لا نرى الشيطان، ولكن الله ـ تعالى ـ من على النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بأن جعله يرى ما لا نراه، فيخبرنا به، قالت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ: «يا رسول الله .. ترى ما لا نرى»؟ رواه الترمذى.

فيجب على المسلمين عدم الشك، فإذا قال النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حديثا،

فلابد أن يصدق فيه، وإذا صدقت كل الأحاديث، فقد أحكمت قلبك على النور، فلا تدخله الشيوعية، التى تدخل القلوب من باب الشك فى كلام رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

وأخشى أن يسألنا الله يوم القيامة: أين العلماء والحكام الذين قصروا فى الدعوة إلى الله، والوقوف فى وجه الشيوعية؟ فليدخلوا من أبواب جهنم السبعة.

ومن عظمة الله تعالى أنه لم يكشف للناس متى يموتون، بل أخفى ذلك عليهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿**كل من عليها فان. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ (١)، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن».

سبحانه وتعالى: فعال لما يريد، وليس بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من قائد يقودنا ويعلمنا، فهو قائدنا وعظيمنا وحبيبنا، قال البوصيرى ـ رحمه الله:

لما دعا الله داعينا لطاعته

بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

ودليل وحدانية الله ـ تعالى ـ أنه لا يستطيع أحد أن يغير من معالم قدرته ـ سبحانه وتعالى ـ فهو القائل فى كتابه العزيز، وهو أحكم الحاكمين: ﴿**إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له**﴾ (٢).

وقد ضرب بعض أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذى بيده الملك، حتى ختمها، فأتى النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال: يا رسول الله.. إنى ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذى بيده الملك حتى ختمها، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر» رواه الترمذى.

---

(١) الرحمن: ٢٦، ٢٧.

(٢) الحج: ٧٣.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قل هو الله أحد﴾ حقا وصدقا، هل أحد عنده سمٰوات أو بحار؟ الجواب: لا، فهى صفة دلت على وحدانيته، على أنه «أحد» يقول لأهل السمٰوات والأرض: يا عبادى، لو كان معى إله آخر لحدث اختلاف: «لفسدتا» أى لما وجدتا، فهذا إله، والآخر إله، ولا أحد يغلب الآخر، فهو يقول: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ (١)، فديننا دين واضح، فليس الله ـ تعالى ـ روح القدس، ولا مريم إله، كما يقول النصارى، وكيف يكون ذلك؟ لا يمكن هذا أبدا، فالنصارى سموا بالضالين، وأما المغضوب عليهم فهم اليهود، ولماذا ضل النصارى؟ لأنهم قالوا: ربنا موجود وله زوجة وله ولد، وهذا ضلال منهم، لأنه ـ تعالى ـ يقول: ﴿قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد﴾، فهو ـ تعالى ـ ينفى ربوبية غيره، ولا أسماء حسنى لغيره، قال ـ تعالى ـ ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر﴾ (٢)، فلا أحد غيره له مثل ما عنده، ومن يقول بذلك فقد كفر.

والفلاح ينظر للزرع ويعرف معنى: ﴿قل هو الله أحد﴾، قال ـ تعالى ـ: ﴿أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ (٣)، من ينبت الحبة فتصير شجرة، أنتم أم نحن؟ لا، بل نحن، فالزارع هو الله، قال ـ تعالى: ﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه، من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين﴾ (٤)، فمن الذى أنزله؟ أنت يا رب يا واحد يا أحد.

﴿من بين فرث ودم﴾، الفرث: الروث الأخضر قبل نزوله من المعدة، فكيف خرج اللون الأبيض من بين اللونين الأحمر والأخضر؟ خالصا من لون الدم ورائحته، وخالصا من لون الفرث وطعمه ورائحته، وكلمة «سائغا للشاربين» معناها أن الله بحكمته أخرج لك هذا اللبن، لتشربه مباشرة، لأن الذى صنعه لك هو الله تعالى، وهو أرأف بك وأرحم.

﴿قل هو الله أحد﴾ الذى امتن عليك بذلك، قال ـ تعالى ـ: ﴿هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء﴾ (٥). ولا نجد أحدا يفعل ذلك غير الله ـ تعالى ـ ﴿وفى أنفسكم أفلا

---

(١) الأنبياء: ٢٢.
(٢) فصلت: ٣٧.
(٣) الواقعة: ٦٤.
(٤) النحل: ٦٦.
(٥) آل عمران: ٦.

تبصرون﴾[1].. يضع الرجل النطفة فى رحم زوجته، ولا يدرى أين هى، فيتولى الله ـ سبحانه وتعالى ـ أمرها من نطفة إلى علقة ـ دم منعقد ـ إلى مضغة ـ لحم ـ، ثم إلى عظام، ثم يكسو العظام لحما، ثم ينفخ فيه الروح، فمن الذى يفعل هذا كله؟ .. هو الله.

﴿قل هو الله أحد﴾ لا يخلق النطفة إلا هو، وعجز العالم عن ذلك، ولن يجرؤ مخلوق على مجرد التفكير فى ذلك: ﴿قل انظروا ماذا فى السمٰوات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾[2] ﴿الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾[3]، جعل الليل للسكن والراحة لأن الجسد يحتاج للنوم، لما فيه من الهدوء والسكينة، أما النهار، فضياء الشمس وضجة الحياة فيه لا تساعد المرء على النوم فيه.

﴿وجعلنا نومكم سباتا﴾[4]، أى نوما عميقا قويا، تنقطع فيه صلته بالأحياء.

﴿وجعلنا الليل لباسا﴾[5]، أى ساترا، فقد خلق الله ـ تعالى ـ للإنسان الليل والنهار، وعلم بابن آدم واحتياجاته، فجعل له ساعات من الليل ينام فيها ويقضى حاجته.

وفى صحيح البخارى «باب كراهية السمر بعد صلاة العشاء»: يكره للمرء الكلام مع الناس بعد صلاة العشاء، بل يذهب إلى سريره، وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يفعل ذلك، قال العلماء: إلا لضيف، أو لطالب علم، أو لمريض، فيسهر معه، وإلا فيسن له النوم فى أول الليل.

قال الأطباء:

وهذا الوقت (أول الليل) هو الذى ينتفع الجسد بالنوم فيه، سبحانك يا الله يا قادر!، وعندما يستريح ابن آدم ويأخذ جسده حاجته من النوم، يتغير الكون، ويجىء الضياء، سبحان الله! سبحان الله! الطيور تسبح، والحيوانات تسبح لمجى الصباح ﴿وله ما سكن فى الليل

(١) الذاريات: ٢١.
(٢) يونس: ١٠١.
(٣) غافر: ٦١.
(٤) النبأ: ٩.
(٥) النبأ: ١٠.

والنهار وهو السميع العليم﴾ [1] فمن الذى يدبر هذا؟ هو الله.

وإذا سمع الإنسان أذان الفجر ونام، تقول له الطيور بلسان الحال: أيها النائم الغافل أنت لا تساوى عصفورا، فالكل يسبح وأنت نائم.

والديك الذى يؤذن عند الفجر فارس حقا، كيف عرف الفجر وهو راقد فى مكانه المظلم؟ بل كيف قام ليسبح، كيف؟ !.. سبحانك يارب، فمن لا يسبح الله فى الصباح لا يساوى ديكا، ولو كان ابن آدم النائم فارسا لكان فارسا ميتا مجردا.

فإذا أذنبت ذنبا فلا تيأس من رحمة الله، فإن اليأس هو المصيبة الكبرى، وإذا أذنبت ذنبا فلا تتكاسل وسارع إلى التوبة، أما إذا قدمت طاعة فقل: الحمد لله، قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «اللهم اجعلنى من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا» رواه ابن ماجه.

فالعيب إذن ليس فى الذنوب، وإنما العيب فى المذنب الذى لا يتوب.

فإذا أذنبت ذنبا فتواضع لله، وقل: يا رب اغفر لى، وإذا اغتررت بطاعتك، وجعلتك تتعالى وتظن فى نفسك الكمال، فهذا شىء لا يحبه الله، فالله ـ تعالى ـ يحب من عبده أن يكون خاضعا ذليلا متذكرا دائما لمعاصيه، خائفا من ذنوبه، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو وحده المتكبر، ولا يحب أن يرى مخلوقا متكبرا، أو جاهلا متعاظما.

﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ [2]، فالعالم العارف الذى يدرك أن الله ـ تعالى ـ يرضى عن عبده المتواضع يتضرع إلى الله مبتهلا: أنا فقير إليك، أنا مذنب، أنا مخطىء.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى* أن رآه استغنى﴾ [3]، أن رأى نفسه استغنى عنكم.

---

(١) الأنعام: ١٣. (٢) البقرة: ٣٢.
(٣) العلق: ٦، ٧.

﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ [1]، إن الإنسان بطبعه فيه صفة الطغيان، عندما يستغنى بماله وصحته، فمن استغنى بهما تكبر على العباد، وتكبر على الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

والظلم صفة من صفات ابن آدم، وإذا أردت أن تعرف: هل فلان ظالم أم لا؟ فانتظر حتى يتولى القيادة، أولا يعرف أن الرجعى إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ؟ فعلام التكبر؟! فعلى الانسان أن يترك ذلك التكبر لمن لا يموت، وهو الذى لا يخلقه أحد، ولا يحتاج إلى أحد، أما أنت أيها الإنسان، فإنك محتاج، ونهايتك الموت، مهما كان عند من أموال وأملاك وأطيان.

﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ ،﴿قل هو الله أحد﴾..

وفى كل شىء له آية ❊ تدل على أنه الواحد

﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾ [2]، فانظر بعينيك إلى العنب وشجرته، انظر إلى خشبها، وورقها، وكيف خرج منها العنب!.. انظر إلى البرتقال وينعه ـ أى ثمره ولونه وحلاوته ـ هل أحد يفعل مثل هذا؟ لا يا رب!..إذن: ﴿قل هو الله أحد﴾.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [3]، فانظر إلى أذنك، هل يرفعها أحد أو يحضر بدلا منها؟ كلا..

فرعون وهامان:

اشتكى هامان من وجع برأسه، فقال له فرعون: نقطعها ونحضر بدلا منها، فقال هامان: على هامانك يا فرعون؟.. وصارت مثلا.

وخرج على بن أبى طالب إلى الميدان، وكان عمرو بن العاص ذا دهاء، فنادى على معاوية قائلا له: يا أمير المؤمنين على الآن فى الميدان، ولا يحق أن يبارزه إلا أمير المؤمنين،

(١) العلق: ٨.
(٢) الأنعام: ٩٩.
(٣) الذاريات: ٢١.

فقال معاوية: قاتلك الله يا عمرو، أتريد أن تقدمنى لسيف ابن أبى طالب؟، فأخذ عمرو سيفه وركب فرسه لملاقاة على، فلما تقدم على نحوه، ألقى عمرو بنفسه من فوق الفرس، وكشف عورته، فقال على: قال رسول الله ـ صلى الله عليه عليه وآله وسلم ـ: «عورة المؤمن حمى».

وأشاح بوجهه قائلا: إن المؤمن لا يجوز له أن ينظر إلى عورة أخيه. وهذه حيلة احتالها عمرو بن العاص.

قال العلماء: ﴿الله أحد﴾ فى ذاته، أى ذاته ليست مركبة كسائر الذوات التى لها يدان ورجلان ورأس، فالله ـ تعالى ـ ليس كمثله شىء، وهو ـ سبحانه ـ لا تتصوره العقول، فمعنى «واحد» ليست ذاته مركبة من جوارح، وواحد فى أفعاله، فلا أحد له أفعال مثله أفعاله، فمن خلق السماء؟ ومن خلق الأرض؟ ومن خلق النمل؟ الجواب: هو الله.

قال بعض العلماء: ليست الحكمة فى خلق النملة، ولكن الحكمة فى تدابير النملة، وكيف تعيش، وكيف تخزن الحب صيفا لتقتات به شتاء، فسبحان الذى خلقها، والذى يدبر أمرها.

﴿قل هو الله أحد﴾ يعرفه كل شىء، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ (١)، فعرفت النملة الله ـ تعالى ـ وعرفت نبيه سليمان عليه السلام، وعرفت الحق والعدل والظلم، فسليمان وجنوده لا يشعرون حين يحطمون النمل، ولو قالت: لا يحطمنكم، وسكتت لظلمت، ولكنها عدلت فى قولها، فقالت: «وهم لا يشعرون».

س: هل ينفع القرآن الميت، كما ينفع الحى، أم أن نفعه يقتصر على الأحياء؟

جـ: قال ـ تعالى ـ ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ (٢)، فلم يقل: للأموات فقط، أو للأحياء فقط، والقائل بأنه ينفع الأحياء دون الأموات، قل له: هات دليلا من الكتاب والسنة على قولك، وإلا فلا قول لك!.. فكلمة «المؤمنين» فى الآية تشمل الأحياء

(١) النمل: ١٨.
(٢) الاسراء: ٨٢.

والأموات من المؤمنين، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «يس لما قرئت له، فاقرأوها على موتاكم» رواه الإمام أحمد والبيهقى.

وفى صحيح البخارى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قرأ الفاتحة بعد تكبيرة الاحرام فى صلاة الجنازة، فإذا نفعت الميت أم القرآن (الفاتحة) فالأولى أن ينتفع الميت بالقرآن كله.

وأخرج البخارى فى صحيحه عن سالم عن أبيه ـ رضى الله عنهما ـ قال: كان الرجل فى حياة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فتمنيت أن رأى رؤيا أقصها على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكنت غلاما شابا، وكنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرأيت فى النوم كأن ملكين أخذانى فذهبا بى إلى النار، فإذا هى مطوية (أى مبنية الجوانب) كطى البئر وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر، فقال لى: لم ترع. فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل»، فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلا.

قال ابن عمر: ما تركت صلاة الليل منذ سمعت هذا الحديث.

والبئر المطوية: هى التى بنيت بالحجارة.

فإن الماء ماء أبى وجدى * وبئرى ذو حفرت وذو طويت

و«ذو» هى «الذى» فى لغة طىء.

فقال العلماء استنادا إلى هذا الحديث: يجوز النوم فى المسجد، لأنها قالت للنبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: إن عبد الله كان نائما بالمسجد، فلم ينهه عن النوم فيه.

وقال الإمام مالك: يكره النوم فى المسجد إلا لغريب فيرخص له.

وقال الإمام الشافعى: لا بأس بالنوم فى المسجد بلا كراهة، لأن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ كان له بيت ولم ينهه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن النوم فى المسجد، ودل هذا

على جواز النوم فى المسجد للمسافر والمقيم، ولكن لو علم أنه إذا نام فى المسجد تعرض المسجد للسرقة فلا يمكن من ذلك، وكذلك إذا جاء وقت الصلاة فلم يقم لها، حرم عليه النوم، وإذا كان جالسا حرم عليه الجلوس أيضا.

وعند المالكية: يخرج من المسجد، فإذا أقيمت الصلاة إما أن يخرج من المسجد وإما أن يصلى مع المصلين، وإذا كان نائما نوما ثقيلا فيجب على من حضر أن يوقظه، لأن المسجد ليس كالبيت ينام فيه متى أراد.

وإذا أقيمت الصلاة فكل شىء يترك ما عدا الصلاة، لأن المسجد للصلاة أولا، فالذى يقرأ يقطع القراءة ويقوم للصلاة، فإذا فرغ من صلاته ختمها، وله بعد ذلك أن يقرأ مرة أخرى.

فائدة لمنع الوسوسة فى الصلاة:

عن أبى أيوب قال: جاء رجل إلى النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقال: يا رسول الله.. علمنى وأوجز، قال: «إذا كنت فى صلاتك فصل صلاة مودع، ولا تكلم بكلام تعتذر منه، واجمع اليأس عما فى أيدى الناس» رواه ابن ماجه.

وصلاة المودع: هى التى يعتقد المصلى أنه لا يصلى بعدها غيرها، فمن قام إلى الصلاة، وأراد ألا توسوس له نفسه، فعليه أن يعتقد أنه سيموت بعد هذه الصلاة، ولن يصلى صلاة أخرى، فيخاطب نفسه: يا نفس إننى سأموت، ولن أصلى مرة ثانية، فلا أرغب أن تذكرينى بأحد أبدا، ثم يدخل فى الصلاة، وهو يفكر فى القبر وظلمته وعذابه، وفى الآخرة والحساب، فإذا فعل ذلك فهو يقطع نفسه من الدنيا، ومن التفكير فيها، لأنه حكم على نفسه بالموت، أما النسيان فلابد منه للإنسان:

وما سمى الإنسان إلا لنسيه * ولا القلب إلا أنه يتقلب

ولولا النسيان لجن الإنسان، فهو من رحمة الله ـ تعالى ـ لابن آدم، لأنه لو لم ينس لجلس يفكر فيما له وفيما عليه، وفى فلان وعلان.. إلخ الأمور الدنيوية.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «يس لما قرئت له» رواه الإمام أحمد والبيهقى.

حكـــاية:

أعطت امـرأة شيخا بعض النقـود، وطلبت منه قـراءة سورة يـس ٤١ مرة، على نيتهـا، فلم يسألها الشيـخ عن نيتها، بل فـرح بالنقود، وبدأ يقرأ فـى الليل، وإذا هو يسمع صـوتا ولا يرى شخصا، يقول: نصرانى !!، وتكرر ذلك الصوت عدة مرات، وفى الصباح جاءت المرأة، فقال لها الشيخ: هل الرجل الذى تحبينه نصرانى؟ قالت: نعم !..

فالسورة من القرآن لها خادم روحانى، وأسماء الله تعالى وآياته لها خادم روحانى، لأن كلا منها له خدم من الملائكة.

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

وقال ـ صلـى الله عليه ـ: «من حج فلـم يرفث ولم يفسق خـرج من ذنوبه كيوم ولـدته أمه» رواهما البخارى ومسلم.

قالت السيدة عائشة: ألا أخبركم عنى وعن النبـى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ؟ قلنا: بلى، قالـت: لما كـانت ليلتى (وكـانت ليلـة النصف مـن شعبان) انقلب النبـى ـ صلـى الله عليه وســلم ـ فوضع نعليه عند رجليه ووضع رداءه حتـى بسط طرف إزاره على فراشـــه فلـــم يلبث إلا ريث [1]، ظن أنى قد رقدت، ثم انتعل رويدا، وأخذ رداءه رويدا، فجعلت درعى فى رأسى واختمـرت، ثم تقنعت بـإزارى، فانطلقـت فى أثره حتـى جاء البقيع، فـرفع يـده ثلاث مرات، وأطال القيام، ثم انحرف وأسرع فأسرعت، وهرول فهرولت، وأحضر فأحضرت، فسبقته فدخلت، فليس إلا أن اضطجعت، فدخل فقال: مالك يا عائشة حشيا رابية؟ قالت: قلت: لا شىء، قـال: أتخبرينى، أو ليخبرنـى اللطيف الخبير، قلت: يـا رسول الله.. بأبى أنـت وأمى، فأخبـرته الخبـر، قال: أنـت السواد الـذى رأيت أمـامى؟ قـالت: فلهـزنى فـى صدرى لهـزة أوجعتنى ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قلت: مهما يكتم الناس فقد علم الله، قال: فـإن جبريل أتانـى حين رأيتنى، ولم يكـن يدخل عليك، وقـد وضعت ثيابك، فنـادانى

---

(١) الريث: المهلة.

وأخفيته منك، وظننت أنك قد رقدت، وكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي، فأمرني أن آتي أهل البقيع فأستغفر لهم، قالت: قلت: كيف أقول؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين، والمستأخرين، وإنا إن شاء الله لاحقون» وفي رواية مسلم أنه قال لها: «مالك يا عائشة.. أغرت؟ فقلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: أقد جاءك شيطانك؟ قالت: يا رسول الله.. أو معي شيطان؟ قال: نعم، قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال:نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم».

(حشيا رابية) أي مالك قد وقع عليك الحشا وهو التهييج الذي يعرض للمسرع.

قال تعالى: ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين**﴾(١).

يقال: ناقة عشواء، أي عمياء لا تبصر أمامها، فالذي يعشو عن ذكر الرحمن، أي يعرض عنه، «فهو له قرين»، وهو كما في الحديث الشريف الذي يقول فيه الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ:«ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير» رواه مسلم.

فإذا ذكر الإنسان الله ـ تعالى ـ بعد عنه الشيطان، وإن نسي الذكر رجع الشيطان إليه، وصار يملي عليه الأماني، ولازمه دائما، ولذلك فإن الكافر يتسلط عليه الشيطان دائما، لأنه لا يذكر الله تعالى.

قصة والد سيدنا إبراهيم عليه السلام:

قال بعض المفسرين: إن والد سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ هو تارخ، وهو رجل مسلم، وكذلك أمه أيضا مسلمة، وأما «آزر» المذكور في سورة الأنعام فهو عمه، ولقد هاجر سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ وتزوج السيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل ـ عليه السلام ـ، ثم رجع إلى الشام، ثم ذهب إلى الحجاز حيث ترك زوجته السيدة هاجر وابنه إسماعيل عند البيت

(١) الزخرف: ٣٦.

الحرام، ثم قال: ﴿ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون. ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء. الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء. رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء. ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ (١).

فكيف إذن يتبرأ من أبيه ثم يدعوله فى الشيخوخة، فالحق أن أباه لم يدرك الرسالة، والعرب تقول للعم: أب، ووالد يعقوب ـ عليه السلام ـ إسحاق، وعمه هو إسماعيل، والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾ (٢).

فجعلوا إسماعيل أبا لهم، وهو عمهم، وإسحاق أمه سارة الشامية، قال ـ تعالى ـ: «فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب» (٣).

كان أحب الثياب إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ القميص.

يقال إن الأرواح عرضت على سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ، فوضع يده على إحداها، وقال: ما اسمك؟ قال: محمد بن محمد الغزالى، فقال موسى ـ عليه السلام ـ: سألتك عن اسمك، فلم تذكرين اسمك واسم أبيك واسم جدك؟ فقالت الروح: عجبا لك يا موسى، أولست أنت الذى سألك الله ـ تعالى ـ: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾، فقلت:

---

(١) إبراهيم: ٣٧ ـ ٤١.
(٢) البقرة: ١٣٢ ـ ١٣٣.
(٣) هود: ٧١.

﴿هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى﴾ (١)؟ فقال موسى: صدق من سماك: حجة الإسلام.

* * *

(١) طه: ١٧، ١٨.

فهرست موضوعات الدروس

الموضوع	الصفحة
المقدمـــــة	٣
افتتاحية الدرس	١٥

الدرس الأول

فى تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾	١٦
ويحتوى على :	
معنى اسم الله تعالى «البديع»	١٦
خطر مطالعة كتب النصارى والشيوعيين	١٦
معنى الصوم	١٧
رؤية هلال رمضان	١٧
حكم النية فى الصيام وآراء العلماء فيها	١٨
فضل السحور والحكمة فيه	١٨
فتاوى متنوعة حول الصيام	١٨
عودة إلى تفسير الآية موضوع الدرس	١٩
السفر الذى يبيح الفطر	٢٠
أحكام حول الصيام	٢٠
حكم استعمال الصائم للسواك	٢١
صيام ست من شوال وآراء العلماء فيها	٢١
من أحكام الحيض	٢٢
معنى المدد	٢٢

مدة القصر ٢٣
أحكام التيمم ٢٣
مسألة فى الطهارة ٢٣
نجاسة الكلب وآراء العلماء فيها ٢٤
قصة الأعرابى الذى بال فى المسجد ٢٤
موانع دخول الملائكة ٢٤
سيد الاستغفار ٢٥
حكم الصلاة فى المقابر وفى مرابض الغنم ٢٦
ختام الصلاة جهرا ٢٦
صلاة التراويح ٢٧
حكم المنى من حيث الطهارة وعدمها ٢٨
النوم فى نهار رمضان ٢٨
حكم المرأة الحائض والنفساء فى الحج ٢٨
حكم القيء للصائم ٢٩
حكم الصلاة بثوب نجس ٢٩

الدرس الثانى

فى تفسير قوله تعالى ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾ ٣٠
ويحتوى على :
تفسير معانى كلمات الآية ٣٠
من صفات الله تعالى : الرضا والغضب ٣١
حكاية عن الشيخ السمالوطى ورسالته فى علم التوحيد ٣٤

جلوس النبى صلى الله عليه وسلم ودعاؤه بعد صلاة الصبح ٣٥
كلمة للشيخ الغزالى فى أسباب المحبة ٣٦
مقالة للشيخ على الخواص ٣٦
معنى الاستغفار ٣٧
أنواع الذنوب وكيفية الاعتذار والمسامحة بين الناس واختلاف العلماء فى ذلك ٣٧
أحاديث وآثار مروية فى النهى عن الغيبة ٣٨
قصص وحكايات ٣٨
سؤال عن وصول ثواب الفاتحة إلى الميت ٣٩
رؤيا للشيخ ـ رضى الله عنه ـ ٣٩
لقاء أهل الجنة بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٤٠
حكاية عن وصول ثواب الفاتحة إلى الميت ٤٠
حكم قراءة الفاتحة لحضرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٤٠
حكم من صلى على نجاسة أو على جنابة ٤١
حكم الجنب الذى لا يجد ماء ٤١
سؤال عن بعض أنواع التجارة ٤١
حكم إمامة المرأة ٤٢
صلاة السيدة نفيسة على جنازة الإمام الشافعى ٤٢

الدرس الثالث

فى تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ ٤٣
ويحتوى على:
معنى كلمة «شاهدا» ٤٣
أبيات لسيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه ٤٣

شهادة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الأمة ٤٤
شعر للشيخ فخر الدين الرازي فى مدح النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٤٥
رد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ السلام على من يسلم عليه ٤٦
محبة النبى صلى الله عليه وسلم ٤٦
رؤيا للشيخ ـ رضى الله عنه ـ مع سيدى عبد السلام الأسمر ٤٧
أدلة على ثبوت الكرامة من الكتاب والسنة ٤٨
مكانة الإمام الحسين ـ رضى الله تعالى عنه ـ ٤٨
حفظ نسب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من لدن آدم ـ عليه السلام ـ إلى أن ولد ٥٠
من أسرار مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٥١
زواج الإمام على ـ رضى الله عنه ـ بأسماء بنت عميس ـ رضى الله عنها ـ ٥٢
قصة الإمام البوصيرى ونظمه للبردة ٥٣
شق صدر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٥٤
زيارة الشيخ للإمام الحسين ـ رضى الله عنه ـ ٥٤
حكايات أخرى ٥٥
سؤال عن طريقة الاغتسال من الجنابة ٥٥
إزالة النجاسة ٥٦
مسألة وضوء الجنب ٥٦

الدرس الرابع

فى تفسير قوله تعالى : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ ٥٧
ويحتوى على :
فضل العلم والعلماء ٥٧
ليلة القـــــدر ٥٩

زيارة الإمام الرازي للروضة الشريفة ٦٠
حكاية للشيخ الحافظ السيوطى ٦١
رؤيا الشيخ الشربينى للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٦١
حكاية الشيخ السمالوطى مع المؤلف ـ رضى الله عنه ـ ٦١
حديث توسل سيدنا آدم ـ عليه السلام ـ بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٦٢
أبيات للشيخ على وفا فى مدح النبى ـ صلى الله عليه وسلم ٦٢
قصة دعاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على عتبة بن أبى لهب ٦٤
تواضعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٦٤
قصة أبى موسى الأشعرى مع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ٦٦
فضل من تبع الجنازة وصلى عليها ٦٧
آثار وردت فى فضل جبل أحد ٦٧
دواب تدخل الجنة ٦٧
سؤال عن مصارف الزكاة ٦٨
أداء الصلاة لمن يعجز عن الحركة ٦٨
حكم من لم يجد ماء ولا شيئا يتيمم عليه ٦٨
شيوخ الطريق وتربية المريد ٦٩
قصص وحكايات ٦٩

الدرس الخامس

فى تفسير قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون﴾ ٧٢
ويحتوى على:
الله تعالى يحفظ الأمة ببركة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ٧٢
الحكمة من بقائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الأرض بعد موته ٧٢

السلام على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التشهد ٧٤
قصة الأعرابى الذى زار الروضة الشريفة ٧٦
معنى الاستقامة وثمرتها ٧٦
حكاية فى التوكل ٧٨
التحذير من سبل الشيطان ٧٨
الأولياء وتجلى الأعمال ٧٩
عودة إلى موضوع الدرس ٧٩
كيف ينضج اللحم فى الجنة ٨٠
قصة للشيخ الدرينى مع زوجته ٨١
قصة ثوبان مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ٨١
معنى المحاسبة والمراقبة ٨٢
حكاية فى مقابلة الإساءة بالإحسان ٨٣

الدرس السادس

فى تفسير قوله تعالى : ﴿إن جهنم كانت مرصادا * للطاغين مآبا﴾ الآيات ٨٥
ويحتوى على :
القرآن من عند الله ـ تعالى ـ ٨٥
كلام السيدة نفيسة ـ رضى الله عنها ـ فى الكبر ٨٧
مناجاة للشيخ ابن عطاء الله السكندرى ٨٩
حديث قدسى ٨٩
محبة الله ـ تعالى ـ للعبد ٩٠
ابتلاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالنار ٩٠
حكاية فى الابتلاء ٩١
حكاية للشيخ إبراهيم بن أدهم ـ رضى الله عنه ـ ٩١

حديث قدسي ٩٢
رؤيا للشيخ ـ رضى الله عنه ـ وهو عائد من الحج ٩٣
زيارة الشيخ السنوسى للروضة الشريفة ٩٣
الصلاة الأولى من صلوات سيدى أحمد بن إدريس رضى الله عنه ٩٤
كلمة للشيخ ابن عطاء الله السكندرى ٩٤
عودة إلى الدرس ٩٥
أول من يدخل الجنة بغير حساب ٩٩

الدرس السابع

فى تفسير قوله تعالى: ﴿فأما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هى المأوى﴾ ١٠١
ويحتوى على:
الشريعة الغراء موافقة للفطرة السليمة ١٠١
بين الزمخشرى والغزالى فى تفسير معنى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ١٠٣
مناقشة للشيخ محمد عبده فى تفسير بعض آيات القرآن الكريم ١٠٤
قصة القسيس مع أحد الخلفاء العباسيين ١٠٤
حكاية المستشرق مع المؤلف ـ رضى الله عنه ـ ١٠٦
بين كرومر ومحمد عبده ١٠٦
حكاية عن أحد المغاربة ١٠٨
حكاية الرجل والذئب ١٠٨
مقام الخوف من الله ـ تعالى ـ ١٠٨
مقال الإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ فى الخوف ١٠٩
حكاية للإمام أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ ورواية الحديث ١١٠
قصة سيدنا جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ والرحلة فى طلب العلم ١١٠

الدرس الثامن

في تفسير قوله تعالى: ﴿عبس وتولى * أن جاءه الأعمى﴾ الآيات ١١٢

ويحتوى على:

الحجاب ستر وصيانة للمرأة ١١٢

التبرج وأضراره وعقوبة المرأة المتبرجة يوم القيامة ١١٤

مسئولية الآباء نحو أبنائهم ١١٥

لابد من السياسة فى معاملة النساء وفى كل شىء ١١٥

سبب نزول سورة «عبس» ١١٦

حكم مس المصحف وقراءة القرآن للجنب ١١٨

حكم المنى على المذاهب الأربعة ١٢٠

تعريف أصول الأحكام الشرعية ١٢١

الحكمة من الغسل ١٢٢

حكم العمرة ١٢٣

الفرق بين الحج والعمرة ١٢٤

كيفية النية فى الحج ١٢٤

أنواع الطواف ١٢٦

سؤال عن حكم صلاة الإمام وفى ثوبه نجاسة ١٢٦

تفسير رؤيا قراءة القرآن ١٢٧

رؤيا الصلاة ١٢٧

رؤيا الوضوء والغسل ١٢٧

رؤيا الأذان فى النوم ١٢٧

الدرس التاسع

فى تفسير قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ الآيات ١٢٨

ويحتوى على :
فتح مكة وتصديق رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم ١٢٨
قصة صلح الحديبية ١٣٠
حديث فى فضل الاستغفار ١٣٠
قصة سيدنا عمر بن الخطاب مع عبد الله بن العباس رضى الله عنهما ١٣١
أحاديث تدل على مشروعية التقبيل ١٣٢
قصة وفد عبد القيس ١٣٢
النهى عن كثرة السؤال ١٣٣
أدلة القنوت وأحكامه فى المذاهب ١٣٤
سجود التلاوة ١٣٤
قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ١٣٥
حسن الصوت مستحب للمؤذنين ١٣٦
أحاديث حول أذان الفجر ١٣٦
حكم عمل المحراب فى المسجد ١٣٧
صلاة التراويح وحكمة العدد فيها ١٣٧
حكم الصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد الأذان ١٣٩
حكاية الشيخ ـ رضى الله عنه ـ مع الشيخ محمود خطاب السبكى ـ رضى الله عنه ـ ١٤٠
حكم زيارة قبور الأولياء والصالحين ١٤١

الدرس العاشر

فى تفسير قوله تعالى : ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد﴾ ١٤٣
ويحتوى على :

فضل سورة الإخلاص ١٤٣
كلام الشيخ اللقانى صاحب الجوهرة على أسماء الله الحسنى وصفاته ١٤٣
الحافظ ابن حجر العسقلانى وشرح حديث : «قل هو الله أحد» تعدل ثلث القرآن ١٤٣
سؤال عن البسملة وعدها من آيات القرآن ١٤٣
معنى الباء فى «بسم الله الرحمن الرحيم» ١٤٤
المواضع التى تسن فيها البسملة ١٤٤
الشيطان يؤذى تارك البسملة ١٤٤
فضل سورة الملك ١٤٦
فضل قيام الليل، وأداء صلاة الصبح فى وقتها ١٤٨
لا تغتر بكثرة الطاعات ولا تيأس من كثرة الذنوب ١٤٩
بين فرعون وهامان ١٥٠
فروسية الإمام على وحيلة عمرو بن العاص ١٥٠
معنى الوحدانية ١٥١
النملة من أعجب المخلوقات وقصتها مع سليمان عليه السلام ١٥١
قراءة القرآن ينتفع بها الموتى كما ينتفع بها الأحياء ١٥٢
قصة عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ ونومه فى المسجد ورؤياه للنار ١٥٢
حكم النوم فى المسجد ١٥٢
فائدة لمنع الوسوسة فى الصلاة ١٥٣
حكاية ١٥٤
لكل إنسان قرين لا يفارقه ١٥٥
قصة والد سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ١٥٥
عرض الأرواح على سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ ١٥٦